



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للعلوم الشرعية

مجلة علمية دورية محكمة

شعبان ١٤٤٢ هـ

السنة: ٥٤

الجزء الأول

العدد: ١٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

النسخة الورقية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٦
وتاريخ ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ
الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ١٦٥٨-٧٨٩٨

النسخة الإلكترونية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٨
وتاريخ ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ
الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ١٦٥٨-٧٩٠١

الموقع الإلكتروني للمجلة:

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:
es.journalils@iu.edu.sa

(الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة)

هيئة التحرير

أ.د. عمر بن إبراهيم سيف
(رئيس التحرير)

أستاذ علوم الحديث بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن جليدان الظفيري
(مدير التحرير)

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

أ.د. باسم بن حمدي السيد

أستاذ القراءات بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن صالح العبيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

أ.د. عواد بن حسين الخلف

أستاذ الحديث بجامعة الشارقة بدولة الإمارات

أ.د. أحمد بن محمد الرفاعي

أستاذ الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. أحمد بن باكر الباكري

أستاذ أصول الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. عمر بن مصلح الحسيني

أستاذ فقه السنة بالجامعة الإسلامية

سكرتير التحرير: باسل بن عايف الخالدي

قسم النشر: عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعد بن تركي الخثالان
عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)

سمو الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

معالي الأستاذ الدكتور يوسف بن محمد بن سعيد
عضو هيئة كبار العلماء
ونائب وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

أ.د. عياض بن نامي السلمي
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

أ.د. عبد الهادي بن عبد الله حميتو
أستاذ التعليم العالي في المغرب

أ.د. مساعد بن سليمان الطيار
أستاذ التفسير بجامعة الملك سعود

أ.د. غانم قدوري الحمد
الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت

أ.د. مبارك بن سيف الهاجري
عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت (سابقاً)

أ.د. زين العابدين بلا فريج
أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني

أ.د. فالخ بن محمد الصغير
أستاذ الحديث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. حمد بن عبد المحسن التويجري
أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستقلاً من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصل، ومنهجيتته.
- ألا يتجاوز البحث عن (١٢٠٠٠) ألف كلمة، وكذلك لا يتجاوز (٧٠) صفحة.
- يلتزم الباحث بمراجعة بحثه وسلامته من الأخطاء اللغوية والطباعية.
- في حال نشر البحث ورقياً يمنح الباحث (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تقول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها إعادة نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحق لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النشر - إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو) (Chicago).
- أن يكون البحث في ملف واحد ويكون مشتملاً على:
 - صفحة العنوان مشتملة على بيانات الباحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - مستخلص البحث باللغة العربيّة، و باللغة الإنجليزيّة.
 - مقدّمة، مع ضرورة تضمّنها لبيان الدراسات السابقة والإضافة العلمية في البحث.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
 - الملاحق اللازمة (إن وجدت).
- يُرسلُ الباحث على بريد المجلة المرفقات التالية:
 - البحث بصيغة **WORD** و **PDF**، نموذج التعهد، سيرة ذاتية مختصرة، خطاب طلب النشر باسم رئيس التحرير.

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة:

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	وقفات مع أوائل المصنفين في علم القراءات د. فهد بن مطيع المغدوي	٩
(٢)	ما اشتبه من نظم القرآن بين حذف الواو وإثباتها (مواضعه ووجهه) د. الجيلي علي أحمد بلال	٥٩
(٣)	القراءات العشرية الدائرة بين كلمتي ﴿قَالَ﴾ و﴿قُلْ﴾ (اجمعاً ودراسة) د. ياسر بن عوض بن رجاء العوفي	١٢١
(٤)	تعقبات الداني على ابن الأثيري (ت ٣٢٨هـ) من خلال كتابه (المكتفى في الوقف والابتداء) - جمعاً ودراسة - د. سامي بن يحيى بن هادي عواجي	١٤٥
(٥)	عبادة استماع القرآن الكريم د. رشا بنت صالح بن ناصر الدغثير	١٨٩
(٦)	الكسور والأعداد في القراءات القرآنية د. خليل بن أحمد بن أحمد المرضاحي	٢٣٩
(٧)	الجمع البسيط لأسرار فن الالتفات من البحر المحيط - دراسة وتحليل - د. بريك بن سعيد القرني	٢٨١
(٨)	التفسير العلمي التجريبي وأثره في اختيارات ابن عاشور - دراسة تطبيقية د. محسن بن حامد المطيري	٣٤٥
(٩)	منظومة الرمزمي في علوم القرآن - عرض ودراسة - د. ضيف الله بن محمد الشمراني	٣٩٥
(١٠)	الفنقات التفسيرية في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الغرناطي - دراسة تحليلية - د. محمد بن مرضي الهزيل الشاري	٤٣٣
(١١)	الأسلوب الحكيم في القرآن الكريم من خلال كتب التفسير د. سلطان بن بدير العتيبي	٤٧٣
(١٢)	ترجمة عباد بن منصور - دراسة تحليلية - أ. د. جمعان بن أحمد الزهراني	٥٢١
(١٣)	مكانة الإمام مسلم في علم العلل دراسة تطبيقية مقارنة من خلال كتابه التمييز د. حسام خالد السقار، و أ. د. محمد زهير المحمد	٥٩٥
(١٤)	الضبط والتبيين لقوي العلل والعاهات من المحدثين ليوسف بن حسن بن عبد الهادي المعروف بـ (ابن المبرد) (ت ٩٠٩ هـ) - دراسة وتحقيق - د. جمال فرحات صاولي	٦٤٧
(١٥)	التطبيقات الاحترازية للوقاية من الأوبئة في ضوء السنة النبوية د. زكرية بنت أحمد بن محمد غلفان زكري	٦٩٥

التفسير العلمي التجريبي وأثره في اختيارات ابن عاشور دراسة تطبيقية

Empirical Scientific Explanation & Its Impact on
Ibn Ashour's Choices
An Empirical Study

إعداد:

د. محسن بن حامد المطيري

Dr. Muhsin bin Hamed Al-Mutairi

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الدراسات القرآنية بكلية التربية

بجامعة الملك سعود بالرياض

البريد الإلكتروني: Aboazam94@gmail.com

المستخلص

موضوع البحث: التفسير العلمي التجريبي وأثره في اختيارات ابن عاشور.

أهداف البحث: الوقوف على منهج ابن عاشور في التفسير العلمي، وأثره في اختياراته، مع دراسة أمثلة تطبيقية للنظر في موافقة المنهجية لأصول التفسير المعتمدة.

منهجية البحث: المنهج الاستقرائي التحليلي.

نتائج البحث: الوقوف على أثر التفسير العلمي التجريبي في تفسير التحرير والتنوير، ومقارنتها بأقوال السلف والمعاصرين، وقد برع كثيرا في توسيع مدلولات القرآن بما يوافق الاكتشافات، ولم يخل من بعض الخطأ في تفسير بعض الآيات، وما ذكرته من الأمثلة متعلق بأنواع الأثر للتفسير العلمي في اختياراته، ولا يقلل من مكانة تفسيره بين التفاسير.

التوصيات: الدراسة البحثية العميقة لمواقف المفسرين المعاصرين من التفسير العلمي التجريبي، وتصنيف موسوعة تفسيرية للآيات المتعلقة بالاتجاه العلمي التجريبي من فريق متخصص من أهل التفسير ومتخصص من العلوم الأخرى لضبط التوسع الحاصل في هذا النوع من التفسير.

الكلمات المفتاحية: التفسير العلمي التجريبي، الاختيار، التوسع.

ABSTRACT

Research Topic: Empirical Scientific Exegesis and Its Impact on Ibn ‘Aashour's Opinions: An Applied Study

Research Objectives: Determining Ibn Aashour’s approach in scientific exegesis and its impact on his opinions, along with studying practical examples to consider the conformity of the methodology with the approved fundamentals of exegesis.

Research Methodology: Analytical Inductive Methodology.

Research Results: Determining the impact of empirical scientific interpretation in Tafseer At-Tahreer wa At-Tanweer, and comparing it with the sayings of the predecessors (salafs) and the contemporary scholars. He excelled greatly in expanding the connotations of the Qur‘an in line with the scientific discoveries, although he could not be exempted from some errors in the exegesis of some verses. Meanwhile, the examples cited therein are related to the types of impact of the scientific exegesis on his opinions, and this does not underestimate the significance of his Tafseer among the books of Tafseer.

Recommendations: In-depth research study of the positions of contemporary exegetes on experimental scientific exegesis; and the classification of an encyclopedia of exegesis on the verses related to the experimental scientific trend from a specialized team of exegetes and a team specialized in other sciences to control the expansion in this type of exegesis.

Keywords: Empirical scientific exegesis- opinion- expansion.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد: فإن الاشتغال بكتاب الله تعالى تعلماً وتعليماً من المنن العظيمة على العبد، ومن ذلك تأصيل الضوابط العلمية في تفسير كتاب الله فقد اعتنى بها العلماء والمفسرون قديماً وحديثاً. إن مصطلح الإعجاز العلمي من المصطلحات الشائكة التي كثر حولها الكلام في العصر الحاضر موافقة ومخالفة، وتوسع فيه المعاصرون، ومن أولاه عناية علامة تونس محمد الطاهر ابن عاشور في سفره الجليل التحرير والتنوير، وكان له مصطلح خاص في معناه إذ توسع به إلى جميع أنواع الإعجاز البياني والغبي والتاريخي، بالإضافة إلى التفسير العلمي، وهو الذي سيكون موضع الدراسة والبحث إذ كان لابن عاشور به عناية في تفسيره من خلال الترجيح به والاستناد عليه في عدد من أقواله، وقد كان منها الصحيح وهو الغالب ومنها الخاطئ، وسوف أقوم من خلال هذه الدراسة بإبراز هذا الجانب في تفسير ابن عاشور ومدى اعتماده عليه، وموافقته للضوابط التي ذكرها العلماء، ودراسة عدد من المواضع في تفسيره، للخروج بتصور صحيح عن شيء من منهجيته في هذا الباب.

عنوان البحث: التفسير العلمي التجريبي وأثره في اختيارات ابن عاشور.

مشكلة البحث: لابن عاشور عناية بالتفسير العلمي التجريبي في تفسيره التحرير والتنوير، وكان له منهجه فيه، وله أثر في اختياراته التفسيرية، فكان منها الموافق وهو الغالب ومنها ما يحتاج إلى تأمل ونظر.

حدوده: ستكون الدراسة محل البحث من تفسير التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور، وسأجري هناك مقارنة مع بقية التفاسير المعاصرة الموافقة له مع مقارنتها بأقوال السلف والمحققين من المفسرين، وأصول التفسير وقواعده.

أهدافه: يتناول البحث الأهداف التالية:

أولاً: معرفة منهجية ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير في التفسير العلمي التجريبي، من جهة التوسع فيه، ومدى موافقته لأصول التفسير.

ثانياً: دراسة الأمثلة التطبيقية ومقارنتها بكلام السلف، والمحققين من أئمة التفسير.

ثالثاً: معرفة الأثر للتفسير العلمي التجريبي في اختيارات ابن عاشور الموافق منها والمخالف.

منهجه: سأتبع المنهج الاستقرائي التحليلي في النظر في التفسير العلمي لدى ابن عاشور.

الدراسات السابقة: بعد بحث وتتبع وجدت البحوث التالية:

١_ بحث إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور، وهو بحث ماجستير للباحث: محمود بن علي البعداني، وهي دراسة عامة لجميع أنواع الإعجاز وليست خاصة بالتفسير العلمي التجريبي، ولم يتجاوز الحديث عن التفسير العلمي الجانب النظري، وذكر فيه مثالا تطبيقياً واحداً فقط من التفسير العلمي، فيما دراستي ستكون تطبيقية، وستبحث أنواع الأثر للتفسير العلمي على اختيارات ابن عاشور، مع دراستها ومقارنتها بأقوال السلف والمحققين من المفسرين.

٢_ موقف الطاهر ابن عاشور من الإعجاز العلمي من خلال تفسيره التحرير والتنوير، للباحثة: وفاء عبدالرحيم عطا، رسالة ماجستير في جامعة سوهاج، كلية الآداب، ١٤٣٤هـ وتكون البحث من بابين: الأول: نظري تضمن تعريف الإعجاز العلمي ونشأته وحكمه، والثاني: تطبيقي، وقد استعرضت فيه الباحثة أبواب الإعجاز العلمي مثل الآيات الكونية وخلق السماوات والأرض والبحار وخلق الإنسان وغيرها من أبواب التفسير العلمي، وذكرت بعض الأمثلة تحت كل باب ولم تقصد الاستيعاب، ولم تقصد إبراز أثر التفسير العلمي على تفسيره وأنواع هذا الأثر على اختياراته، كما هو من أهداف دراستي، وافتقدت الدراسة للرجوع إلى أقوال السلف، ومقارنتها بما ذكره ابن عاشور في التفسير العلمي، وهذا ما سيكون من أهداف ومقاصد دراستي للأمثلة التطبيقية.

٣_ الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، للباحث: محمد النذير أوسالم، وهي مطبوعة في دار ابن حزم، وقد درست أقوال ابن عاشور في تفسيره بشكل عام، ولم تتقصد أقواله واختياراته في التفسير العلمي فضلاً عن بيان أثرها على تفسيره، وهو ما سأقوم بشيء منه في هذه الدراسة. وهناك دراسات كثيرة أخرى عن تفسير التحرير والتنوير، ولكنها لم تقصد الدراسة للتفسير العلمي خاصة عند ابن عاشور، وإنما هي دراسات عامة عن اختياراته وترجيحاته واستدراكاته، ونحو ذلك فأعرضت عن ذكرها لعدم ارتباطها

بدراستي. وسوف تكون خطة البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التفسير العلمي، تعريفه، ومصطلحه عند ابن عاشور، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي التجريبي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مصطلح الإعجاز العلمي عند ابن عاشور.

المبحث الثاني: الأمثلة التطبيقية لأثر التفسير العلمي على اختيارات ابن عاشور، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمثلة على أثر التفسير العلمي في ترجيح أحد الأقوال.

المطلب الثاني: الأمثلة على أثر التفسير العلمي في توسيع مدلول الآية أو الإضافة في بيان معناها.

المطلب الثالث: الأمثلة على أثر التفسير العلمي في مخالفة أصول التفسير.

المطلب الرابع: الأمثلة على تفسير المعجزات بالتفسير العلمي.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات، ثم ذكر المصادر والمراجع للبحث.

المبحث الأول: التفسير العلمي، تعريفه، ومصطلحه عند ابن عاشور

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي التجريبي لغة واصطلاحاً

التفسير لغة: من الفسر وهو الإبانة وكشف المعنى^(١)، قال الأزهرى: (كشف المراد عن اللفظ المشكل)^(٢).

وأما معنى التجربة لغة: فهي مصدر الفعل جَرَّبَ، وهو بمعنى اختبر، قال في اللسان: (وَجَرَّبَ الرَّجُلُ تَجْرِبَةً: اخْتَبَرَهُ.. وَرَجُلٌ مُجَرَّبٌ: قَدْ بُلِيَ مَا عِنْدَهُ. وَجُرِّبَ: قَدْ عَرَفَ الْأُمُورَ وَجَرَّهَا)^(٣).

والتجربة في العلم: اختبار منظم لظاهرة أو ظواهر يُراد ملاحظتها دقيقة ومنهجية للكشف عن نتيجة ما أو تحقيق غرض معين^(٤).

تعريف التفسير اصطلاحاً: عرّفه ابن جزي بقوله: (شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه)، وعرّفه ابن عثيمين: (بيان معاني القرآن الكريم)^(٥)، وعرّفه الزرقاني بقوله: (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)^(٦).

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، "مقاييس اللغة". تحقيق عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ٥٠٤: ٤.

(٢) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، "تهذيب اللغة". تحقيق محمد عوض، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠١م)، ١٢: ٢٨٣؛ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ): ٥: ٥٥.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٢٦١؛ وانظر: الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، "القاموس المحيط". (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ)، ٦٧.

(٤) مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط". (ط٤، القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢٥هـ)، ١: ١١٤.

(٥) ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي. "التسهيل لعلوم التنزيل". (ط١، بيروت: مؤسسة دار الأرقم، ١٤١٦هـ)، ٨٧٥؛ ابن عثيمين، محمد بن صالح، "أصول في التفسير". (ط١، المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢هـ)، ٢٨.

(٦) الزرقاني، محمد عبدالعظيم الزرقاني. "مناهل العرفان". (ط٢، بيروت: مطبعة عيسى البابي الحلبي،

هذه التعاريف في نظري هي أقرب التعريفات للصواب، وإن كان تعريف ابن جزي نص على معنى الاستنباط من القرآن فهو فيما يظهر داخل في معنى التفسير وإن كان خفياً من جهة المعنى لكنه متضمن لمصطلح التفسير فلا فرق بين المعنى الظاهر أو الخفي في دخوله في المعنى القرآني، ولا دليل لغوي أو عقلي على التفريق بينهما.

تعريف التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم اصطلاحاً:

تعددت التعريفات لهذا المصطلح وتوسع بعضها وخرج بعضها عن المقصود، وسأقتصر على أهم التعريفات وأكثرها ضبطاً للمصطلح، فمنها ما عرفه عبدالله الأهدل: تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث^(١).

وقال عبد المجيد الزناداني في تعريفه: الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية، وعرفه الدكتور فهد الرومي بأنه: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن^(٢) ومن أوسع من تعرض للتعريفات الدكتور عادل الشدي، وقد عرفه بقوله: استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية، وتوسيع مدلولاتها^(٣).

وتعقب التعريف بأن ذلك التعريف مرتبط بواقع المؤلفات التي حوت الصحيح والخطأ، وأما إن أردت الاختصار على الصحيح فيمكن إضافة لفظ (حقائق) قبل العلم التجريبي للاقتصار عليها دون النظريات والفرضيات التي يجيز بعض المعاصرين توظيفها في التفسير العلمي، وهذا التعريف الأخير من أقرب التعريفات للصواب، واجتنب فيه الباحث كثيراً من الملاحظات على التعريفات السابقة.

=

١٩٨٨، ٢: ٣.

(١) عبدالله الأهدل، "التفسير العلمي للقرآن الكريم دراسة وتقييم"، (رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه ١٤٠٠هـ)، ١٥.

(٢) د. فهد الرومي، "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر"، (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ)، ٢: ٥٤٩.

(٣) د. عادل الشدي، "التفسير العلمي التجريبي"، (ط١، الرياض: مدار الوطن، ١٤٣١هـ)، ١٥، وقد أورد في كتابه عشر تعريفات.

المطلب الثاني: مصطلح الإعجاز العلمي عند ابن عاشور.

انفرد ابن عاشور عن باقي المفسرين بمعنى خاص في الإعجاز العلمي، وهو مرادف لإعجاز القرآن وذلك بجميع أنواعه البلاغي والغيبي والتاريخي والتشريعي وما يسمى بالتفسير العلمي، وتكرر هذا المصطلح في تفسيره في مواضع كثيرة تشمل جميع أبواب الإعجاز، ولعل مرد ذلك إلى أن مصطلح العلم لدى ابن عاشور يشمل جميع العلوم الشرعية وغيرها خلافا لمن يحملها على العلم التجريبي في العلوم الدنيوية فقط، وقد أشار بعض الباحثين إلى القصور في هذا الاصطلاح وتأثره بالثقافة الغربية، وعلى ذلك فاصطلاح ابن عاشور أكثر دقة ممن يقصره على العلم التجريبي والاكتشافات الحديثة.^(١) وقد أفرد ابن عاشور المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن وذكر أوجه الإعجاز فيها، وقال في الوجه الثالث منها: (وأما الجهة الثالثة من جهات الإعجاز وهي ما أودعه من المعاني الحكمية والإشارات العلمية.. العلم نوعان: علم اصطلاحي وعلم حقيقي، فأما الاصطلاحي فهو ما تواضع الناس في عصر من الأعصار على أن صاحبه يعد في صف العلماء، وهذا قد يتغير بتغير العصور ويختلف باختلاف الأمم والأقطار، وهذا النوع لا تخلو عنه أمة، وأما العلم الحقيقي فهو معرفة ما بمعرفته كمال الإنسان، وما به يبلغ إلى ذروة المعارف وإدراك الحقائق النافعة عاجلاً وآجلاً، وكلا العلمين كمال إنساني ووسيلة لسيادة أصحابه على أهل زمانهم، وبين العلمين عموم وخصوص من وجه).^(٢) وقد كرر هذا المصطلح في عدة أوجه من وجوه الإعجاز ففي قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] قال: (ومن الإعجاز العلمي في القرآن أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق، وهي البرهان والخطابة والجدل المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات وهي المقبولة من الصناعات).^(٣)

(١) د. مساعد الطيار، "الإعجاز العلمي إلى أين؟". (ط ٢، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٣٣هـ): ٥٢.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، "التحرير والتنوير". (تونس: دار سحنون، ١٩٨٤م)، ١: ١٢٦، ومن أمثلته، ١: ٤٥٣، ٢: ٨٦، ٦: ٥٧).

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤: ٣٣١؛ محمود البعداني، "إعجاز القرآن عند ابن عاشور". (ط ١، جامعة الملك سعود، كرسي القرآن وعلومه، ١٤٣٥هـ)، ٣٢٣.

المبحث الثاني: الأمثلة التطبيقية لأثر التفسير العلمي على اختيارات ابن عاشور، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمثلة على أثر التفسير العلمي في ترجيح أحد الأقوال.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّشَبِّهِنَّ لَكُمْ وَنُقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

اختلف السلف والمفسرون في معنى قوله: ﴿مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ﴾ على أقوال، وقد اختار ابن عاشور أحد هذه الأقوال، وسنذكر الأقوال ثم اختياره ثم نناقش قوله من جهة الصواب والخطأ وموافقته لأصول التفسير.

القول الأول: إنها من صفة النطفة، فأما المخلقة فما كان خلقاً سَوِيًّا، وأما غير مخلقة فما دفعته الأرحام، من النطف، وألقته قبل أن يكون خلقاً، وهو قول ابن مسعود، وهذا القول فيه ضعف لأن الوصف هنا للمضغة وليس للنطفة.^(١)

القول الثاني: إن معنى (مخلقة) تامة، و (غير مخلقة): غير تامة، والمراد بهذا القول: أن الله جل وعلا يخلق المضغ متفاوتة، منها ما هو كامل الخلقة، سالم من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم، وصورهم، وطولهم، وقصرهم، وتماهم، وهذا قول قتادة، ورجحه الزمخشري والرازي وأطال الشنقيطي في الانتصار له^(٢).

القول الثالث: إن معنى مخلقة: مصورة إنساناً، وغير مخلقة؛ أي: غير مصورة إنساناً

(١) أثر ابن مسعود رواه الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق أحمد شاكر، (ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ)، ١٨: ٥٦٦.

(٢) الطبري، "تفسير الطبري"، ١٨: ٥٦٨، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٣: ١٤٤؛ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، "مفاتيح الغيب". (ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، ٢٣: ٢٠٤؛ الشنقيطي، محمد الأمين، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (ط ١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ)، ٤: ٢٦٨.

كالسقط الذي هو مضغة، ولم يجعل له تخطيط وتشكيل، وذلك لأنه وصف للمضغة وليس للنطفة فإما أن يصور وينفخ فيه الروح فيكون مخلقا، وإما أن تلقيه الأم سقطا قبل التصوير، وهذا قول: مجاهد، والشعبي، وأبو العالية ورجحه الطبري وابن عطية وابن كثير^(١)، وأورد على هذا القول أن في نفس الآية قرينة تدل على ضعفه، وهي قوله في أول الآية: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ لأنه على القول المذكور الذي اختاره الطبري يصير المعنى: ثم خلقناكم من مضغة مخلقة، وخلقناكم من مضغة غير مخلقة، وخطاب الناس بأن الله خلق بعضهم من مضغة غير مصورة، فيه تناقض ينبو عنه كتاب الله، وأجابوا بأن الله أشار في الآية إلى أن هناك قسماً لا يقره الله في الرحم وهو السقط، وذلك في قوله: ﴿وَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وأجيب أن ذلك لا يلزم من الآية فقد يقره الله ما يشاء في الرحم، ستة أشهر أو تسعة أو أكثر أو أقل، فأما السقط: فقد دلت الآية على أنه غير مراد بدليل قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ لأن السقط الذي تلقيه أمه ميتا، ولو بعد التشكيل والتخطيط، لم يخلق الله منه إنسانا واحدا من المخاطبين، فظاهر القرآن يقتضي أن كلا من المخلقة وغير المخلقة: يخلق الله منه بعض المخاطبين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾^(٢).

ورجح ابن عاشور أن الآية حكاية لتطورات المضغة فشرح تطورات الجنين وإعجاز القرآن في بيانها، ثم قال: (..مخلقة وغير مخلقة: صفة مضغة، وهي تطور من تطورات المضغة، أشار إلى أطوار تشكل تلك المضغة فإنها في أول أمرها تكون غير مخلقة، أي غير ظاهر فيها شكل الخلقة، ثم تكون مخلقة، والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف..، وإذ قد جعلت المضغة من مبادئ الخلق تعين أن كلا الوصفين لازمان للمضغة، فلا يستقيم تفسير من فسر غير

(١) أخرج أثر مجاهد والشعبي وأبي العالية الطبري، "تفسير الطبري"، ١٨: ٥٦٨؛ وانظر: ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ٤: ١٠٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق سامي السلامة، (ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ)، ٥: ٣٩٥.

(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٢٣: ٢٠٤، الشنقيطي، "أضواء البيان"، ٤: ٢٦٨.

المخلقة بأنها التي لم يكمل خلقها فسقطت. والتخليق: صيغة تدل على تكرير الفعل، أي: خلقاً بعد خلق، أي: شكلاً بعد شكل.^(١) فاستدل بالحقيقة العلمية المعروفة على تطورات الجنين، ثم المعنى اللغوي في لفظ: التخليق المتضمن للمبالغة والتكرار في الخلقة، وضعف بهذه الحقيقة العلمية مع المعنى اللغوي قول من ذهب إلى أن المراد به السقط قبل الخلق، وهو قول الجمهور وترجيح الطبري، وما ذهب إليه ابن عاشور مع أصحاب القول الثاني من أن المراد به أطوار المضغة وخروج الولد تام الخلقة أو ناقص الخلقة قولان صحيحان لا تعارض بينهما دلت عليهما النصوص الشرعية والحقائق العلمية، فقد استفاد ابن عاشور من بيان الآية من خلال معرفة تطورات الجنين الظاهرة في الطب الحديث.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

هذه الآية متعلقة بمسألة أسبقية خلق السماوات أو الأرض ولها تعلق بالتفسير العلمي، وهي من مشهور المسائل عند المفسرين، وقد اختلف فيها المفسرون على قولين:

القول الأول: إن الله تعالى خلق الأرض ثم خلق السماء ثم دحا الأرض وجعل فيها الرواسي والأنهار في يومين وهو قول ابن عباس ومجاهد^(٢)، ورجحه الطبري والزمخشري وابن عطية^(٣)، وقد جمعوا بذلك بين النصوص في الآية الواردة، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وجعل فيها رواسي من فوقها وبنك فيها

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٧: ١٩٨.

(٢) أخرج أثر ابن عباس: البخاري، "صحيح البخاري" في كتاب التفسير، باب: (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات)، ٦: ١٢٧؛ وأثر مجاهد: الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٤: ٢٠٨.

(٣) الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٤: ٢٠٩؛ الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب (حاشية الطيبي على الكشاف)". تحقيق محمد عبد الرحيم، جائزة دبي، (ط ١، ١٤٣٤هـ)، ٤: ١٨٩؛ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٥: ٤٣٤؛ ابن كثير، "تفسير ابن كثير"، ٨: ٣١٦؛ الشنقيطي، محمد الأمين، "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب". (ط ١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ)، ٤٣.

وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿١٢﴾ [فصلت: ٩ - ١٢].

القول الثاني: إن السماء خلقت قبل الأرض وهو قول الرازي وابن عاشور، واستدلوا بآية النزاعات وقالوا: إنها أكثر صراحة في الترتيب ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿٣٠﴾، وجعل ابن عاشور من قرائن ترجيح هذا القول ما توصل إليه علماء أهل الهيئة إذ ذكروا أن السماء خلقت قبل الأرض، قال ابن عاشور: (وأرجح القولين هو أن السماء خلقت قبل الأرض...، ولأن أنظار علماء الهيئة ترى أن الأرض كرة انفصلت عن الشمس كبقية الكواكب السيارة من النظام الشمسي).^(١) وأجابوا عن الترتيب في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ بأنه من باب التراخي الرتبى أي: إن خلق السماء أعظم من خلق الأرض.

والأقرب هو القول الأول لصراحة الترتيب في آية البقرة وفصلت، فيما يمكن حمل الدحو وهو البسط وإخراج الماء والمرعى بعد خلق السماء، وبذلك تجتمع الأدلة ويزول الاختلاف الظاهر وهو جمع ابن عباس رضي الله عنه، وأما ما ذهب إليه ابن عاشور من التفسير العلمي فقد خالفه بعض الباحثين فلا ينهض قرينة على ترجيح هذا القول^(٢)، ولا تعارض به ظواهر النصوص الشرعية وأقوال جماهير السلف، حتى قال ابن كثير: (وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة: أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض).^(٣)

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١: ٣٨٤؛ وقد قرره في آية النزاعات، ٣٠: ٨٧؛ الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٧: ٥٤٧.

(٢) يوسف الحاج، "موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة". (ط٢)، دمشق: مكتبة ابن حجر، ١٤٢٤هـ، ٢٧٣؛ مروان شعبان، "الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث"، (ط١)، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٧هـ، ١٦٧.

(٣) ابن كثير، "تفسير ابن كثير"، ١: ٢١٥.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۖ﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

هذه الآية تتعلق بمسألة خلق الإنسان وهي من المسائل التي اختلف فيها المفسرون وأهل الطب، واستدل أصحاب التفسير العلمي على ترجيح أحد الأقوال بالتفسير العلمي:

القول الأول: إن المراد بالصلب: ظهر الرجل، والترائب: صدر المرأة، وهو قول الجمهور من السلف والمفسرين: ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وابن زيد^(١) ورجحه الطبري والرازي وهو قول جمهور أهل اللغة مستدلين بأنه المعروف من لغة العرب، وأوردوا عليه شواهد من شعر العرب، وهو قول لبعض الباحثين من أهل الطب كما سيأتي^(٢).

القول الثاني: إن التريبة ما بين المنكبين والصدر، وهو قول مجاهد وسفيان^(٣).

القول الثالث: هي أطراف اليدين والرجلين والعينين، وهو أحد أقوال ابن عباس وذهب إليه الضحاك وسفيان^(٤).

القول الرابع: إن التريبة تتعلق بالرجل فيخرج من بين صلب الرجل ونحره، وهو قول قتادة^(٥)، ورجحه ابن القيم وابن سعدي والقاسمي وابن عثيمين^(٦) قالوا: إن ذلك هو ظاهر

(١) الآثار أخرجه الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٤: ٣٥٤.

(٢) الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٤: ٣٥٤-٣٥٨؛ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، "معاني القرآن". تحقيق أحمد يوسف النجاقي، محمد علي النجار، (ط١، القاهرة: دار المصرية)، ٣: ٢٥٥؛ الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، "معاني القرآن وإعرابه". (ط١، بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٨هـ)، ٥: ٣١٢؛ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، "معالم التنزيل". تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرون، (ط٤، الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ)، ٨: ٣٩٤، الكشف: (٤/٧٣٥)؛ تفسير الرازي: (٣١/١٢٠)، أبو السعود؛ محمد بن مصطفى العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (ط٤، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٤هـ)، ٩: ١٤١.

(٣) أخرجهما الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٤: ٣٥٥.

(٤) أخرجه الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٤: ٣٥٤-٣٥٨؛ وانظر الأقوال في: معهد الإمام الشاطبي، "موسوعة التفسير بالمأثور". (ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٩هـ)، ٢٣: ١١٦.

(٥) أخرجه الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٤: ٣٥٥.

(٦) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. "إعلام الموقعين عن رب العالمين". تحقيق مشهور

الآية فإنها لم تقل: من الصلب والترائب، وإنما قالت: ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ وأجيب: إنه يصح لغة أن تقول: يخرج من بين هذين خير كثير أو من هذين، كما أن المشهور في لغة العرب إطلاق التريبة على المرأة دون الرجل، وأن الرجل والمرأة في الولد يصيران كالشيء الواحد فحسن إطلاق هذا اللفظ عليهما معاً، واستدلوا: إن الدفق إنما يكون من الرجل، والمرأة إنما هي مستودع لهذا الماء "فإن الذي يوصف بالدفق والنضح إنما هو ماء الرجل، ولا يقال نضحت المرأة الماء ولا دفقته"، وأجيب: بأن هذا من باب إطلاق البعض على الكل فلما كان أحد قسمي المني دافقاً أطلق على المجموع، وأجيب أيضاً أنه ثبت طباً أن الماء الذي يخرج من المرأة على نوعين: الأول: ماء المهبل وليس له علاقة بخلق الجنين. الثاني: ماء يخرج من حويصلة "جراف" بالمبيض، ويخرج متدفقاً مرة في الشهر، وهو الذي يلتقي بالحيوان المنوي ويكون سبباً في خلق الجنين، وهذا من الإعجاز الطبي في القرآن، وقد ثبت في البخاري أن المولود يخلق من مجموع المائتين، قال عليه الصلاة والسلام: (وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد)^(١)، وأجيب بأن هذا أمر مسلم، ولكن الآية جاءت في سياق بيان أصل خروج هذا الماء الدافق، وليس عن أصل خلق المولود وفرق بينهما.^(٢)

=

- سلمان، (ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ)، ١: ١١٢؛ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، "محاسن التأويل". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ٩: ٤٥١؛ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ٩٢٠؛ ابن عثيمين، محمد ابن صالح، "تفسير القرآن الكريم، جزء عم". (ط٢، الرياض: دار الشريعة للنشر، ١٤٢٣هـ)، ١٤٨.
- (١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي حين قدم المدينة، برقم (٣٩٣٨)، البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري". تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
- (٢) الفراء، "معاني القرآن للفراء"، ٣: ٢٥٥؛ الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٣١: ١٢٠؛ ابن قيم الجوزية، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، ١: ١١٢.

القول الخامس: إنه من بين صلب وتربية كل من الرجل والمرأة، ورجحه ابن جزي.^(١)

وقد حاول ابن عاشور الجمع بين قول الجمهور وقول قتادة وابن القيم، فرجح أن الماء يخرج من بين صلب الرجل وتراثبه باعتبار أصل الماء الدافق، ومن ماء الرجل والمرأة باعتبار اشتراك مائهما في خلق المولود وكان من قرائنه الاكتشاف الطبي، فقال: (.. والخروج مستعمل في ابتداء التنقل من مكان إلى مكان ولو بدون بروز فإن بروز هذا الماء لا يكون من بين الصلب والتراثب.. يخرج من بين الصلب والتراثب الضمير عائد إلى ماء دافق وهو المتبادر فتكون جملة يخرج حالا من ماء دافق أي يمر ذلك الماء بعد أن يفرز من بين صلب الرجل وتراثبه، وبهذا قال سفيان والحسن، أي: أن أصل تكون ذلك الماء وتنقله من بين الصلب والتراثب، وليس المعنى أنه يمر بين الصلب والتراثب إذ لا يتصور ممر بين الصلب والتراثب لأن الذي بينهما هو ما يحويه باطن الصدر والضلع من قلب ورتتين... ولا شك أن النسل يتكون من الرجل والمرأة فيتكون من ماء الرجل.. ومن ماء هو للمرأة..، وأصل مادة كلا الماءين مادة دموية تنفصل عن الدماغ وتنزل في عرقين خلف الأذنين، فأما في الرجل فيتصل العرقان بالنخاع، وهو الصلب.. وأما بالنسبة إلى المرأة فالعرقان اللذان خلف الأذنين يمران بأعلى صدر المرأة وهو التراثب.. وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الذي لم يكن علم به للذين نزل بينهم).^(٢)

هذا ما رجحه ابن عاشور وعدد من المفسرين^(٣)، وأما علماء الطب فهم مختلفون اختلافا كثيرا في أصل الماء ومكان خروجه وقد جمع بعض الباحثين أقوال أهل الطب في ذلك، فذهب أكثرهم أن المراد أن الخصية والمبيض تتكونان عند ولادة الجنين من الحدة التناسلية بين صلب الجنين وتراثبه، ثم تنزل تدريجيا إلى أسفل إلى قرب الذكر عند الرجل وإلى حوض المرأة فيكون المراد في أصل الخلقة وليس أثناء الجماع ونحوه، وهذا تأويل للآية عن

(١) ابن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ٥: ٤٦٥، ابن جزي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، ٤٧٢: ٢.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٠: ٢٦٢.

(٣) المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، "تفسير المراغي". (ط١)، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٥هـ)، ٣٠: ١١٢؛ وانظر: يوسف الحاج، "موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة"، ١٢٣.

مرادها ذهابا لما رجحه علماء الطب، وفيه تكلف ظاهر لأن سياق الآية يتحدث عن الرجل والمرأة وليس عن الجنين، وذهب بعضهم إلى أن أصل تغذية الخصية والمبيض بالدماء من شريان الأبهر الذي يمتد بين الصلب والصدر للرجل والمرأة، ويكون الخروج على القولين السابقين من بين الصلب والترائب وليس من ذات الصلب والترائب، وذهب بعضهم أن صلب الرجل وتربية المرأة هو أصل الماء قالوا: ثبت طبيا أن الولد إذا كان من صلب أبيه فهو ابنه مهما اختلفت الأمهات، وأن الرجل المكثّر من الجماع يجد ألما في ظهره خلافا للمرأة، وأن الرجل إذا كان مصابا في أسفل ظهره والنخاع الشوكي يجعله عاجزا عن الجماع، وذهب بعضهم أن الترائب هي أصول عظام الأيدي والأرجل والأعين، وهو خلاف ظاهر الآية ولغة العرب وأقوال جمهور السلف، هذه أشهر أقوال علماء الطب.^(١)

والذي يظهر من خلال المناقشة أن أصل الماء الدافق يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، وهو قول جمهور السلف والمفسرين، والمشهور عند أهل اللغة إطلاق الترائب على المرأة، والقاعدة: إن الأصل حمل اللفظ القرآني على المشهور من لغة العرب^(٢)، كما دلت آيات أخرى على هذا المعنى منها قوله تعالى: ﴿وَحَلَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، وأما أهل الطب فقد ظهر خلافهم في هذه المسألة علميا فليست لديهم حقيقة يقينية فلا حجة لبعضهم على بعض، وإن ثبت يقينا أحد هذه الأقوال فيوجد في أقوال المفسرين ما يستوعب الأقوال ولا يعارضها، ويمكن حينئذ حمل الآية على هذا القول اليقيني في الطب.

(١) انظر الأقوال في: السعدي، داود، "أسرار خلق الإنسان، العجائب في الصلب والترائب"، (ط ١)، بيروت: دار الحرف العربي، (١٤١٤هـ)؛ د. عادل الجليفي، "الصلب والترائب بين أقوال المفسرين وأهل الطب"، بحث منشور في مجلة الدراسات العربية، (جامعة المنيا، العدد السابع والثلاثون، ٢٠١٨م)؛ يوسف الحاج، "موسوعة الإعجاز العلمي"، ١٢٣.

(٢) د. حسين الحربي "قواعد الترجيح عند المفسرين"، (ط ١، الرياض: دار القاسم، ١٤١٧هـ)، ٣٦٩: ٢.

المطلب الثاني: الأمثلة على أثر التفسير العلمي في توسيع مدلول الآية

بمعنى تفسيري أو استنباط:

المثال الأول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

اختلف المفسرون من السلف في هذه الآية على أقوال:

القول الأول: إن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق الله بينهما بالهواء، فرفع السماء ووضع الأرض، وهو قول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة^(١)، ورجحه الرازي وعدد من المفسرين المعاصرين بناء على الاكتشاف العلمي في نظرية الانفجار العظيم^(٢)، واستدلوا بأن ذلك المعنى هو الظاهر من معنى الرق والفتق، إذ يدل على مخلوقين متلاصقين ثم حصل انفراج وانفصال، واستدلوا أيضا بأن الاكتشاف العلمي يثبت هذا المعنى إذ كان الكون كتلة غازية ثم حصل الانفجار العظيم الذي نجم عنه الكواكب والنجوم والسماوات، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١].^(٣)

(١) أخرج الآثار الطبري، "تفسير الطبري"، ١٨: ٤٣١.

(٢) الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٢: ١٣٨؛ ومن المفسرين المعاصرين: محمد رشيد رضا، ومحمد أبو زهرة، وعبدالكريم الخطيب. محمد رشيد رضا، "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)". (ط ١)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ١: ١٧٦؛ أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، "زهرة التفاسير". (ط ١)، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨م، ٩: ٤٨٥٦؛ الخطيب، عبدالكريم، "التفسير القرآني للقرآن". (ط ١)، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٩٠هـ، ٩: ٨٦٨؛ وانظر: يوسف الحاج، "نظرية الانفجار العظيم وهي إحدى أهم النظريات الحديثة في تفسير نشأة الكون في: موسوعة الإعجاز العلمي"، ٣٨٠؛ أحمد مصطفى متولي، "الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية". (ط ١)، القاهرة: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ، ١٥: د. زغلول النجار، "من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن". (ط ٤)، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ، ١٠٧.

(٣) الطبري، "تفسير الطبري"، ١٨: ٤٣١؛ الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٢: ١٣٨؛ معهد الإمام الشاطبي، "موسوعة التفسير بالمأثور"، ١٤: ٥١٣.

القول الثاني: إن السماوات كانت طبقاً واحداً، ففتقها الله فجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة، ففتقها، فجعلها سبع أرضين، وهو قول مجاهد بن جبر وأبي صالح باذام والسدي^(١)، وهو قريب المعنى من القول الأول، وتكون الرؤية على هذين القولين علمية وليست بصرية.

القول الثالث: إن الليل كان قبل النهار ثم انفتق النهار والضوء عنه، وهو قول عكرمة^(٢).

القول الرابع: إن السماوات كانت رتقا لا تمطر، والأرض كذلك رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، وهو قول جمهور السلف: ابن عباس ومجاهد وقول عن عكرمة وعبدالرحمن بن زيد^(٣)، ورجحه الطبري وابن عطية والشنقيطي وتكون الرؤية على هذا بصرية، لأنها الأظهر في معنى الرؤية من العلمية لأن معنى البصر في الفعل (رأى) حقيقة ومعنى العلم مجاز، والحقيقة أولى من المجاز، واستدلوا بالسياق بتعقيب قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ فلم يعقب بذكر الماء إلا لكون ما قبله من أسبابه وهو فتق السماء بالماء، والقاعدة: إن ما دل عليه السياق أولى من غيره^(٤)، واستدلوا بلغة القرآن وعاداته فإنه كثيراً ما يتكرر الاستدلال بالمطر والنبات على القدرة، فيما بقية المعاني لم يرد له نظير في القرآن، كما أن هذا المعنى وهو انشقاق السماء بالماء والأرض بالنبات ورد في القرآن، كقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝﴾ [الطارق: ١١ - ١٢].^(٥) هذه الأقوال ومجمل أدلتهم على كل قول، وأما ابن عاشور فقد ذكر الأقوال السابقة، ثم ذهب إلى جواز حمل الآية على كل المعاني لاحتمال لفظ الفتق والترق لغة لجميعها، ولاحتمال الرؤية لمعنى البصرية

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني، "العظمة"، (ط ١، الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ)، ٣: ١٠٢٦.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) أخرج أثر ابن عباس الحاكم في "المستدرک على الصحيحين"، ٢: ٣٨٢؛ وأثر مجاهد يحيى بن سلام في "تفسيره"، ١: ٣٠٩؛ وأثر عكرمة وعبدالرحمن ابن زيد: الطبري، "تفسير الطبري"، ١٨: ٤٣٠.

(٤) الحربي، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢: ٦٠٣.

(٥) الطبري، "تفسير الطبري"، ١٨: ٤٣٢؛ ابن عطية، "الحرر الوجيز"، ٤: ٨٠؛ السعدي، "تفسير السعدي"، ٥٢٢؛ الشنقيطي، "أضواء البيان"، ٤: ١٤٢.

والعلمية، فقال: (والرتق: الاتصال والتلاصق بين أجزاء الشيء، والفتق: ضده، وهو الانفصال والتباعد بين الأجزاء... وعلى جميع التقادير فالمقصود من ذلك أيضا الاستدلال على أن الذي خلق السماوات والأرض وأنشأهما بعد العدم قادر على أن يخلق الخلق بعد انعدامه... ويحتمل أن يراد بالرتق اتحاد الموجودات حين كانت مادة واحدة، أو كانت أثيرا أو عماء كما جاء في الحديث: (كان في عماء)^(١)، فكانت جنسا عاليا متحدا ينبغي أن يطلق عليه اسم مخلوق، وهو حينئذ كلي انحصر في فرد، ثم خلق الله من ذلك الجنس أبعاضا وجعل لكل بعض مميزات ذاتية فصير كل متميز بحقيقة جنسا فصارت أجناسا... والظاهر أن الآية تشمل جميع ما يتحقق فيه معاني الرتق والفتق إذ لا مانع من اعتبار معنى عام يجمعها جميعا، فتكون الآية قد اشتملت على عبرة تعم كل الناس وكل عبرة خاصة بأهل النظر والعلم فتكون من معجزات القرآن العلمية التي أشرنا إليها في مقدمات هذا التفسير).^(٢)

والذي يظهر أن قول ابن عاشور أقرب للصواب وهو القول بالعموم، ولا تعارض بين الأقوال فيمكن حمل الآية على جميع هذه المعاني، والقاعدة: إن حمل الآية على جميع المعاني عند عدم التعارض أولى من غيره^(٣)، ومعنى الرتق والفتق في اللغة يحتملها، ويمكن أيضا حمل الرؤية على المعنيين البصري والعلمي فلا تعارض بينهما، وما ذكره عدد من السلف في انفصال السماوات عن الأرض، وانفصالها إلى سبع طبقات بعد أن كانت مرتتقة لا يمكن قوله غالبا من باب الرأي، واللغة تحتمله، وأيضا قولهم إن النهار خرج بعد الظلمة كل هذه الأقوال لا تعارض بينها، وأما أصحاب الاكتشافات العلمية فيذهبون إلى أن الكون كان كتلة غازية عظيمة الكثافة والحرارة ثم حدث ما يسمونه بنظرية: الانفجار العظيم، فتكونت بعده

(١) روى أحمد والترمذي عن أبي رزين العقيلي: قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه؟ قال: "كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء". "المسند"، ٢٦: ١٠٨ برقم: (١٦١٨٨)؛ وحسنه الترمذي، "سنن الترمذي في كتاب التفسير"، ٥: ١٣٩، برقم: (٣١٠٩)؛ قال الأصمعي وإسحاق بن راهويه: العماء: السحاب الأبيض. ابن بطة العكبري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد، "الإبانة الكبرى". تحقيق: حمد التوبجيري وآخرون، (ط١)، الرياض: دار الراجعية، ١٤٢٩هـ، ٧: ١٦٨.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٧: ٥٣.

(٣) الحري، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢: ٥٢٧.

الكواكب والنجوم والمجرات، وذكره ابن عاشور نقلاً عن أسماهم بالحكماء، ولذلك فقد ذهب إلى هذا القول عدد من المفسرين المعاصرين، وهذه النظرية إن ثبتت يقينا وكانت حقيقة علمية فإنها لا تعارض جميع أقوال السلف، ولكنها تؤكد الأصل اللغوي للرتق والفتق، ومثل هذه النظريات قرينة على وجهة قول ابن عاشور في العموم، إذ قال: (فتكون الآية قد اشتملت على عبرة تعم كل الناس، وكل عبرة خاصة بأهل النظر والعلم فتكون من معجزات القرآن العلمية التي أشرنا إليها في مقدمات هذا التفسير).^(١) وبناء على هذا فإن النظرية العلمية توسع الأقوال في الآية، ولا تعارضها فهي مثال صالح لتوسيع مدلول الآية بما لا يعارض ظاهر الآية ولغة العرب واتفاق السلف على المعاني الواردة في الآية.

المثال الثاني: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَرْجَسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

اختلف السلف والمفسرون في وجه تمثيل الضيق بالصعود إلى السماء، وذلك على أقوال: **القول الأول:** قال ابن عباس^(٢): كما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه، وكأنه بذلك يزاوُل أمراً غير ممكن، لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة، وتضييق عنه المقدرة، وهو قول عطاء الخراساني والكلبي.^(٣)

القول الثاني: كأن قلبه يصعد في السماء ثبواً على الإسلام وفراراً من استماع القرآن، ذكره الزجاج احتمالاً، وذكره عدد من المفسرين فجعلوا الضمير عائداً إلى القلب وليس الإنسان.^(٤)

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٧: ٥٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق أسعد الطيب، (ط ٢)، مكة المكرمة: مكتبة مصطفى الباب، (١٤٢٧هـ)، ٤: ١٣٨٦.

(٣) أخرج أثر عطاء وعكرمة الطبري، "تفسير الطبري"، ١٢: ١٠٩؛ وابن أبي حاتم، "تفسير القرآن العظيم"، ٤: ١٣٨٦.

(٤) الزجاج، "معاني القرآن"، ٢: ٢٩٠؛ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، "النكت والعيون". تحقيق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٥هـ)، ٢: ١٦٦؛

هذان القولان الواردان عن المفسرين، وقد أضاف ابن عاشور قولاً ثالثاً دل عليه الاكتشاف العلمي وهو الضيق في صدر الإنسان إذا صعد إلى الأماكن المرتفعة، قال ابن عاشور: (مثل حال المشرك حين يدعى إلى الإسلام أو حين يخلو بنفسه، فيتأمل في دعوة الإسلام، بحال الصاعد، فإن الصاعد يضيق تنفسه في الصعود وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة متخيلة، لأن الصعود في السماء غير واقع. والسماء يجوز أن يكون بمعناه المتعارف، ويجوز أن يكون السماء أطلق على الجو الذي يعلو الأرض. قال أبو علي الفارسي: لا تكون السماء المظلة للأرض).^(١) وما ذكره ابن عاشور إشارة للاكتشاف العلمي إلى أنه كلما ارتفع الإنسان في السماء أو العلو انخفض الضغط الجوي وقلت كمية الأكسجين مما يتسبب في حدوث ضيق في الصدر وصعوبة في التنفس إذ إن التغير الهائل في ضغط الجو الذي يحدث عند التصاعد السريع في السماء، يسبب للإنسان ضيقاً في الصدر وحرماً، وهو تشبيه أمر نفسي بأمر محسوس يحصل لكل مرتفع تدريجياً في مكان مرتفع سواء كان إلى السماء أو العلو، وقد ذكر هذين القولين في معنى السماء نقلاً عن أبي علي الفارسي، وهذا يؤكد عموم الارتفاع سواء كان إلى السماء أو العلو.

المثال الثالث: ﴿الْمُتَرَفُّوا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝۱۵ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝۱۶﴾ [نوح: ١٥ - ١٦].

هذه الآية تشير إلى معنى كوني دقيق يشير إليه الفرق في الوصف القرآني بين ضياء الشمس وكونها سراجاً وبين نور القمر، وقد تكرر ذلك الوصف للشمس بالضياء في مقابل وصف القمر بالنور في أكثر من موضع في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝۶۱﴾ [الفرقان: ٦١] وقوله: ﴿هُوَ

=

الرازي، "تفسير الرازي"، ١٣: ١٤٢.

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٨: ٦٠؛ أبو علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار، "الحجة للقراء السبعة". تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرون، (ط٢)، الرياض: دار المأمون، مكتبة الرشد، ١٤٣٩هـ، ٣: ٤٠٥؛ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٢: ٣٤٣.

الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴿٥﴾ [يونس: ٥].

وفي معنى هذه الآية ذكر المفسرون أقوالاً:

القول الأول: وجعل القمر فيهن نوراً لأهل الأرض ، وهو أحد قولي ابن عباس^(١) ، وقاله مقاتل بن سليمان^(٢).

القول الثاني: إنه جعل القمر فيهن نوراً لأهل السماء والأرض ، وهو قول الجمهور قاله ابن عباس في رواية^(٣) ، والحسن وعطاء^(٤) ، قال عبدالله بن عمرو بن العاص: وجهه يضيء لأهل الأرض، وظهره يضيء لأهل السماء^(٥).

وقد استنبط ابن عاشور من هذه الآية معنى دلت عليه الاكتشافات العلمية، فقال: (وفي جعل القمر نوراً إيماء إلى أن ضوء القمر ليس من ذاته فإن القمر مظلم، وإنما يستضيء بانعكاس أشعة الشمس على ما يستقبلها من وجهه بحسب اختلاف ذلك الاستقبال من تبعض وتمازج هو أثر ظهوره هلالاً ثم اتساع استنارته إلى أن يصير بدراً، ثم ارتجاع ذلك، وفي تلك الأحوال يضيء على الأرض إلى أن يكون المحاق، وبالعكس ذلك جعلت الشمس سراجاً لأنها ملتهبة وأنوارها ذاتية فيها صادرة عنها إلى الأرض وإلى القمر مثل أنوار السراج تملأ البيت وتلمع أواني الفضة ونحوها مما في البيت من الأشياء المقابلة)^(٦). وذكر ابن عاشور ذلك أيضاً في تفسير آية يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] إلا أنه لم يصرح

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، السيوطي، جلال الدين السيوطي، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور". (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٨: ٢٩٢.

(٢) مقاتل بن سليمان، "تفسير مقاتل بن سليمان". تحقيق عبدالله شحاتة، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ)، ٤: ٤٥١، الماوردي، "النكت والعيون"، ٦: ١٠٢.

(٣) أخرجه الحاكم في "المستدرک"، ٢: ٥٠٢.

(٤) وأخرج أثر الحسن وعطاء أبو الشيخ في "العظمة"، ٥٥٣، وأيضاً أثر عطاء في "العظمة"، ٦٢٠.

(٥) أخرج أثر عبدالله بن عمرو: الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٣/٦٣٧.

(٦) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٩: ٢٠٤؛ ومن صرح بهذا الاستنباط من المعاصرين: محمد رشيد رضا والقاسمي وعبد الكريم الخطيب ومحمد أبو زهرة. محمد رشيد رضا، "المنار"، ١١/٢٤٨؛ القاسمي، "محاسن التأويل"، ١: ٢١١؛ الخطيب، "التفسير القرآني للقرآن"، ١٥: ١٢٠٠؛ أبو زهرة، "زهرة التفاسير"، ١٠: ٥٣٠٩.

بهذا الاستنباط، وقد أشار الزمخشري والبيضاوي والطبي وغيرهم إلى الفرق بين التعبير بالضياء والنور، وأن الضياء: هو النور الساطع القوي، لأنه يضيء للرائي، وهو النور الذي يوضح الأشياء، فالضياء أقوى من الضوء، والنور: الشعاع، وهو مشتق من اسم النار، وهو أعم من الضياء، فضياء الشمس نور، ونور القمر ليس بضياء، ومن أدلتهم على التفريق قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] فقد عبر أولاً بالضياء ثم لما أراد تأكيد زوال ضوءهم عبر بالقليل وهو النور لأن نفي القليل يوجب نفي الكثير وهو الضياء دون العكس، ومما استدلوا به قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ آيَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الإسراء: ١٢] وهو يؤكد معنى الاستنباط في ذاتية ضوء الشمس وعرض نور القمر وأنه انعكاس لضوء الشمس.^(١)

وهو استنباط ظاهر من الآية، وقد نقل الشهاب الخفاجي معنى لطيفاً يؤكد صحة استنباط ابن عاشور فقال: (الضوء ما يكون للشيء من ذاته، والنور ما يكون من غيره).^(٢) مما تقدم عرضه من الأدلة وكلام المفسرين يتبين صحة الاستنباط ودقة ربط الآية به، وهو معنى إضافي للآية، تؤكد الاكتشافات العلمية الحديثة.^(٣)

(١) الزمخشري، "الكشاف"، ٦١٨/٤، البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ٣: ١٠٥؛ الطبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطبي على الكشاف)". تحقيق محمد عبدالرحيم، جائزة دبي، (ط١)، ١٤٣٤هـ، ٢: ٢٣٦، ٧: ٤٢٢؛ ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١١: ٩٤؛ مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط"، ٥٤٦.

(٢) الشهاب الخفاجي، "عناية القاضي وكفاية الرازي، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي". (ط١)، بيروت: دار صادر، ١٤٢٩هـ، ١: ٣٧٢.

(٣) زغلول النجار، "من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن"، ٥٠٥؛ يوسف الحاج، "موسوعة الإعجاز العلمي"، ٣٠٧.

المطلب الثالث: الأمثلة على أثر التفسير العلمي التجريبي في مخالفة أصول التفسير.

المثال الأول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٩] ، وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

كان للتفسير العلمي التجريبي أثر لدى عدد من المفسرين المعاصرين ومنهم ابن عاشور في تأويل معنى السماوات والكرسي، وقد تكرر ذلك في عدد من الآيات القرآنية، ومع اتفاق السلف على معنى السماوات أنها السماوات السبع^(١)، فإن لهم في معنى الكرسي أقوال:

القول الأول: إن الكرسي موضع القدمين، روي مرفوعاً عن ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ﴾ قال: (كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل)،^(٢) وقال به الجمهور من السلف: منهم أبو موسى الأشعري وابن عباس^(٣) رضي الله عنهم، والضحاك والسدي.^(٤)

(١) قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة ولا يخالف لهم. الطبري، "تفسير الطبري"، ١: ٤٣٥؛ ابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ١: ٧٤؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، "الأسماء والصفات"، تحقيق: عبد الله الحاشدي، (ط١، جدة: مكتبة السوادى، ١٤١٣هـ)، ٨٧٢.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، "المستدرک على الصحيحين". تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)، ٢: ٦٧٨، برقم: (٣١٧٠)؛ وصححه، وصحح الذهبي والألباني وفقه على ابن عباس؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد، "ميزان الاعتدال في نقد الرجال". تحقيق علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ)، ٢: ٢٦٥؛ الألباني، محمد ناصر الدين، "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة". (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ)، ٢: ٣٠٦.

(٣) أخرج أثر ابن عباس عبدالرزاق في "المصنف"، ٢: ٢٥١؛ والحاكم، في "المستدرک"، ٢: ٢٨٢.

(٤) أخرج أثر أبي موسى والسدي والضحاك: الطبري، "تفسير الطبري"، ٥: ٣٩٨؛ وابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ٢: ٤٩٠؛ وانظر: "موسوعة التفسير بالمأثور"، ٤: ٤٦٨.

القول الثاني: إن المراد بالكُرسي: علمه، قاله ابن عباس في أحد أقواله، وسعيد بن جبیر. (١)

القول الثالث: إن الكرسي هو العرش، وهو قول الحسن البصري. (٢)

هذه مجمل أقوال السلف والمفسرين، وقد ذهب ابن عاشور إلى معنى مخالف لهذه الأقوال، وقرر في أكثر من موضع في ذكر السماوات السبع أن المراد بها الكواكب السبعة، فقال: (وقد عد الله تعالى في هذه الآية وغيرها السماوات سبعا وهو أعلم بها وبالمراد منها إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السماوات الأجرام العلوية العظيمة وهي الكواكب السيارة المنتظمة مع الأرض في النظام الشمسي ويدل لذلك أمور: أحدها: أن السماوات ذكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض وذكر خلقها هنا مع ذكر خلق الأرض فدل على أنها عوالم كالعالم الأرضي وهذا ثابت للسيارات. ثانيها: أنها ذكرت مع الأرض من حيث إنها أدلة على بديع صنع الله تعالى فناسب أن يكون تفسيرها تلك الأجرام المشاهدة للناس المعروفة للأمم.. ثالثها: أنها وصفت بالسبع وقد كان علماء الهيئة يعرفون السيارات السبع من عهد الكلدان.. رابعها: أن هاته السيارات هي الكواكب المنضبط سيرها بنظام مرتبط مع نظام سير الشمس والأرض، ولذلك يعبر عنها علماء الهيئة المتأخرون بالنظام الشمسي فناسب أن تكون هي التي قرن خلقها بخلق الأرض.... وقد ذكر العرش والكرسي بما يدل على أنهما محيطان بالسماوات وجعل السماوات كلها في مقابلة الأرض وذلك يؤيد ما ذهب إليه علماء الهيئة من عد الكواكب السيارة تسعة، وهذه أسماؤها على الترتيب في بعدها من الأرض: نبتون، أورانوس، زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، بلكان، والأرض في اصطلاحهم كوكب سيار، وفي اصطلاح القرآن لم تعد معها لأنها التي منها تنظر الكواكب وعد عوضا عنها القمر وهو من توابع الأرض فعده معها عوض عن عد الأرض تقريبا لأفهام السامعين). (٣)

(١) أخرج أثر ابن عباس: الطبري، "تفسير الطبري"، ٥: ٣٩٧؛ وابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"،

٢: ٤٩٠؛ وأخرج البخاري أثر سعيد بن جبیر، معلقاً في كتاب التفسير، ٦: ٣١.

(٢) أخرجه الطبري، "تفسير الطبري"، ٥: ٣٩٩.

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١: ٣٨٥؛ ممن ذكر هذا التفسير من المعاصرين: القاسمي، ومحمد

وما ذهب إليه ابن عاشور فيه ضعف ظاهر وهو بعيد عن معنى الآية، وذلك لأمرين:
 أولاً: أن ذلك خلاف ظاهر النصوص في القرآن فقد جاءت السماء في القرآن مقترنة
 بالكواكب والنجوم فدل على أنها مختلفة عنها، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾
 وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنْفَثَتْ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ١ - ٢] ، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا الْتُجُومُ طُمَسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا
 السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾ [المرسلات: ٨ - ٩] ، ووصف السماء بالطباق بعضها فوق بعضها ﴿أَلَمْ
 تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: ١٥] فدل على أنها مختلفة عن الكواكب
 إذ لا يثبت هذا الوصف لها، ويدل على ضعف هذا التفسير ما ثبت في البخاري في حديث
 الإسراء والمعراج فقد وصف النبي عليه الصلاة والسلام السماوات بأنها سبع سماوات بعضها
 فوق بعض.^(١)

ثانياً: أن ذلك خلاف إجماع المفسرين من السلف فلم يرد عن أحد منهم تفسير
 السماوات بالكواكب السبعة أو الكرسي بالمشتري أو زحل أو غيرها، ولا يجوز رد كلام
 المفسرين و تقديم كلام أهل الهيئة ونظرياتهم على الإجماع المعروف بين أهل التفسير .

ثالثاً: في كلام ابن عاشور اختلاف وتردد في تفسير السماوات بالكواكب السبعة
 فمرة يذكر أن الكواكب سبعة وأخرى أنها تسعة ويضيف إليها الكرسي والعرش، وأخرى أنها
 ثمان ويعد الكرسي والعرش واحداً، وقد يرجع ذلك لضعف القول من جهة، ولما يرد في بعض
 الآيات القرآنية الصريحة من إشكال على هذا القول، أو عدم وجود قائل به من السلف
 فيذكر جميع هذه الأقوال احتمالاً، وكل ما سبق دليل واضح على ضعف هذا القول وبعده
 عن الصواب.

المثال الثاني: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُغَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ
 كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨] .

هذه الآية من الآيات التي هي مثار نقاش طويل بين المفسرين، ويرى كثير من

=

أبو زهرة. "محاسن التأويل"، ١: ٢٨٣؛ أبو زهرة، "زهرة التفاسير"، ١: ١٨٩.

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، برقم: (٣٤٩).

المفسرين المعاصرين أن في الآية إشارة للاكتشاف العلمي في دوران الأرض بينما هناك إجماع عند السلف والمفسرين على أنها تتحدث عن أحداث يوم القيامة، وللسلف فيها أقوال تعود لهذا القول، روى الطبري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض، إلا من شاء الله، ويأمره الله فيمد بها ويطولها، فلا يفتر... فيسير الله الجبال، فتكون سرايا، وترج الأرض بأهلها رجاً)^(١)، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، وقولهم معارض لقول المتأخرين في مبناه ومنزعه وأدلته فلا يمكن الجمع بينهما بحال.^(٢)

القول الثاني: إن المراد بها سير الجبال في الدنيا فهو إشارة إلى نظرية دوران الأرض، وهو ما ذهب إليه ابن عاشور وعدد من المفسرين المعاصرين، ويمكن تلخيص قول أدلة ابن عاشور فيما يلي:

أولاً: أن موضع الآية لا يخالف السياق فقد جاءت جملة معترضة بين آيات الوعيد إدماجاً وجمعاً بين استدعاء النظر في قدرة الله وبين الزواجر والنذر، أو إنها معطوفة على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [النمل: ٨٦] وما بينهما من ذكر النفخ في الصور هو الجملة المعترضة.

ثانياً: أن في الآية قرينة تدل على أن المراد هو الصنع المتقن في الجبال ودوران الأرض، وهو قوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وهذا أليق بحالة نظامها المألوف لا بحالة

(١) الطبري، "تفسير الطبري"، ١٩: ٥٠٣ وقال في إسناده نظر، ابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ٢٩٢٩: ٩.

(٢) الطبري، "تفسير الطبري"، ١٩: ٥٠٦؛ مقاتل بن سليمان، "تفسير مقاتل بن سليمان"، ٣: ٣١٨؛ ابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ٩: ٢٩٣٣؛ ابن عاشور، "المحرر الوجيز"، ٤: ٢٧٣؛ الزمخشري، "الكشاف"، ٣: ٣٨٧، البغوي، "تفسير البغوي"، ٦: ١٨٣؛ السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، "تفسير القرآن". تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، (ط١)، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ)، ٤: ١١٨؛ الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٤: ٥٧٤، ولم يذكر ابن الجوزي رغم عنايته بنقل الأقوال قولاً غيره؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ٣: ٣٧٢.

انخرام النظام الذي يحصل في الآخرة والتي لا تدخل تحت التصور كما أنها سيقَّت بالمصدر الدال على المبالغة في الإتقان (صنع)، وهذا تمجيد لهذا النظام العظيم إذ تتحرك الأجسام العظيمة مسافات والناس يحسبونها قارة ثابتة وهي تتحرك بهم ولا يشعرون.

ثالثاً: أن تسيير الجبال للفناء يوم القيامة يحصل عند خراب العالم وإهلاك جميع الخلائق كما هو ظاهر في عطف الآية على قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّدٍ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، وهذا أمر لا يراه أحد من البشر وهو مشكل مع قوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، فهذه قرينة أخرى على ترجيح هذا القول.^(١)

وقد أجاب أصحاب القول الأول على أدلتهم بما يلي:

أولاً: أن إجماع السلف على خلاف قولهم في أن المراد بها نظرية دوران الأرض، والإجماع حجة يحتكم إليه ولا يجوز مخالفته.

ثانياً: أن سياق الآية وارد في أحداث يوم القيامة، وليس في سياق إبداع الصنع فقد سبقت الآية خمس آيات كلها في الحديث عن الآخرة، ولحقها آيتان، والقاعدة: إن إلحاق الكلام بما قبله وما بعده أولى به من الخروج عن ذلك^(٢)، وقد وردت في الآية قرينة تدل على تقوية هذا الربط فقد رتب المعطوف عليه بالفاء على قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧] أي: ويوم ينفخ في الصور فيفزع من في السماوات وترى الجبال، فدلّت هذه القرينة أنه واقع يوم القيامة، وأما استشكال كون ذلك بعد الفناء فإن التسيير والتسوية إنما يكونان بعد النفخة الثانية، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٠: ٤٨؛ ومن ذهب إلى هذا القول من المعاصرين: القاسمي وعبدالكريم الخطيب والشعراوي وعبد الرحمن بن حبنكة. القاسمي، "محاسن التأويل"، ٧: ٥٠٩؛ الخطيب، "التفسير القرآني للقرآن"، ١٠: ٢٩٨؛ الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي". (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، دار الثقافة)، ١٧: ١٠٨٥٨؛ الميداني، عبد الرحمن بن حسن بن حبنكة، "معارج التفكير ودقائق التدبر". (ط ١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ)، ٩: ١٧٩.

(٢) الحربي، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ٢: ٥٩٣.

نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾ [الكهف: ٤٧].

ثالثاً: إن ذلك عادة القرآن واستعماله لأن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها واردة يوم القيامة ؛ كقوله تعالى: ﴿ وَنُسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبا: ٢٠] وقوله: ﴿ وَنُسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ﴾ [الطور: ١٠].

وأما استدلالهم بقرينة قوله: ﴿ صُغَّ اللَّهُ الَّذِي آتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فإنه يصح إطلاق هذا اللفظ على أحداث يوم القيامة فإن تسييره الجبال الرواسي ثم نسفها قاعاً صفصفاً، من علامات قدرته، ومع هذا فإنه لا يصح بهذه القرينة معارضة إجماع السلف وسياق الآية وظاهرها واستعمال القرآن وعادته.^(١)

المثال الثالث: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الطلاق: ١٢].

في هذه الآية دليل على أن عدد الأرضين مثل عدد السماوات في العدد، وعلى هذا القول جماهير المفسرين، وذهب ابن عاشور إلى بعض التأويلات التي تخالف ظاهر الآية، ولها ارتباط بتفسير السماوات بالكواكب السبعة، وللمفسرين في الآية قولان:

القول الأول: إن المماثلة في العدد والخلق فتكون سبع أرضين، وهو قول الطبري وابن عطية والزمخشري، وحكى ابن تيمية الإجماع نقلاً عن ابن الأنباري أنها سبع أرضين بعضها فوق بعض.^(٢) ومن أصرح أدلتهم في ذلك ما جاء في البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام

(١) الشنقيطي، "أضواء البيان"، ٦: ١٤٥؛ أبو السعود، محمد بن مصطفى العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، ٦: ٣٠٤.

(٢) الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٣: ٤٦٩؛ ابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ١٠: ٣٣٦١؛ وهو قول القرطبي وابن جزي، ولم يذكر ابن الجوزي سوى هذا القول. الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٣: ٤٦٨؛ الزمخشري، "الكشاف"، ٤: ٥٦١؛ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٥: ٣٢٧؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (ط ٢)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ)، ١٨: ١٧٥؛ ابن جزي، "التسهيل"، ٢: ٣٨٨؛ ابن الجوزي، "زاد المسير"، ٤: ٣٠٣؛ ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، "مجموع الفتاوى"، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (ط ١)، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ)، ٦: ٥٩٥.

قال: (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين)^(١)، وما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن..).^(٢) وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون ما هذا تحتكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: أرض، أتدرون ما تحتها؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: أرض أخرى، أتدرون كم بينهما؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: مسيرة خمس مائة عام حتى عد سبع أرضين)^(٣)، وهذا الحديث من أصرح الأحاديث في صفة الأرضين السبع وأنها متباينة وليست متلاصقة، ورغم ضعفه فإنه يصح الاستدلال به على هذه المسألة، وبيان معنى هذه الآية، وباب التفسير أوسع من باب الأحكام في الاستدلال بالسنة.

القول الثاني: إن المماثلة في الهيئة والشكل وليست في العدد، ثم اختلفوا فذهب بعضهم إلى أن الأرض واحدة، ونقل القرطبي عن الضحاك أنها سبع أرضين ولكنها مطبقة بعضها فوق بعض متلاصقة بخلاف السماوات.^(٤)

وأما ابن عاشور فقد ذكر عدة أقوال واستبعد كونها سبع أرضين لمخالفته للاكتشاف العلمي، وجعل المعطوف هو الأرض وحرف (من) زائدة للتوكيد، فيكون المعنى: وخلق الأرض مثلهن، أي: في القوة والدلالة على قدرة الله، فقال: (ومماثلة الأرض للسماوات في دلالة خلقها على عظيم قدرة الله تعالى، أي: أن خلق الأرض ليس أضعف دلالة على القدرة..، وهذا أظهر ما تقول به الآية وفي إفراد لفظ الأرض دون أن يؤتى به جمعا كما أتى بلفظ السماوات إيذان بالاختلاف بين حالتهما)،^(٥) ومما ذكره أيضا من الأقوال احتمالا: أن تكون المماثلة في

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض، برقم: (٢٤٥٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک في کتاب الصوم، برقم: (١٦٣٤)؛ وصححه على شرط الشيخين، والنسائي في کتاب السير، برقم: (٨٧٧٥).

(٣) رواه أحمد في المسند، برقم: (٨٨٢٨)، أبو عبدالله أحمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ)؛ والترمذي في كتاب التفسير، برقم: (٣٢٩٨)؛ وضعفه الترمذي، وقد جاء مثله عن ابن مسعود: (والأرض سبع، بين كل أرضين خمس مئة عام، وغلظ كل أرض خمس مئة عام). الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٣: ٤٧٠.

(٤) القرطبي، "تفسير القرطبي"، ١٨: ١٧٥، ولم أقف عليه في كتاب مسند، وهو مخالف لعامة السلف.

(٥) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٨: ٣٣٩.

كروية الأرض على اعتبار أن السماوات هي الكواكب السبعة فتكون المثلية في التكوير، ونقل قول الجمهور أنها سبع طبقات، لكنه تعقبه بنقل كلام علماء الأرض أن عدد طبقات الأرض أقل من ذلك، وأجاب عن الحديث الوارد في الصحيحين أن ذلك من شؤون الآخرة، وهي مخالفة للمتعارف فلا يقاس عليها، وقد يراد بالعدد المبالغة، وعلى قول الجمهور بالعدد سبعة فإنه يجوز حمله على القارات السبع، ونقل كلام الزمخشري وتعقبه، فقال: (وفي الكشف: قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه. اهـ. وقد علمت أنها لا دلالة فيها على ذلك).^(١) هذا محصل الأقوال عند ابن عاشور والراجح لديه، وكل هذه التأويلات التي ذهب إليها لعدم موافقة ظاهر الآية لكلام علماء أهل الهيئة، والصحيح الذي لا مرية فيه أن الآية ظاهرة في عدد الأرضين، وهو ما دلت عليه السنة النبوية في أحاديث كثيرة نقلت بعضها، وبعضها صريح في بيان مجمل الآية، وهو إجماع أهل السنة، وجميع التأويلات الأخرى فيها تكلف ظاهر وضعف، ولا يجوز ترك ظاهر الآية ونصوص السنة لأجل هذه التأويلات إذ الآية واردة في عدد السماوات ومثلية الأرض لها في العدد والهيئة، ولا يصح القول إنها سبع طبقات متلاصقة كما يصوره بعض المفسرين وبعض المعتنن بالتفسير العلمي لمخالفته للأحاديث المفسرة لمجمل الآية ولظاهر الآية في المماثلة بين السماوات والأرض في العدد والهيئة^(٢)، ولا يصح حملها على الهيئة والشكل دون العدد لأنه خلاف الظاهر فالآية واردة في سياق العدد، والقاعدة: إن الأصل حمل الألفاظ على الظاهر^(٣)، وأبعد من هذا القول حملها على الأقاليم أو القارات السبع، قال ابن كثير: (ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند).^(٤)

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٨: ٣٤١؛ وممن وافقه من المعاصرين: القاسمي. "محاسن التأويل"، ١٩٧: ٩.

(٢) ذكر ابن كثير أن ذلك هو ظاهر الآية. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، "البداية والنهاية". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١)، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨هـ، ٢٠: ٢٠.

(٣) الحربي، "قواعد الترجيح عند المفسرين"، ١: ١٣٧.

(٤) ابن كثير، "تفسير ابن كثير"، ٨: ١٥٦.

المطلب الرابع: الأمثلة على تفسير المعجزات بالتفسير العلمي.

المثال الأول: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢ - ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا عَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: ٥٣ - ٥٤].

في هذه الآية وعدد من الآيات الأخرى بيان لعذاب قوم لوط وملخص كلام السلف والمفسرين: أن الله تعالى بعث جبريل إلى قري قوم لوط فاحتملها بجناحه ثم صعد بها، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجيل من السماء حتى أهلكها وما حولها^(١)، وقد حاول ابن عاشور تفسير عقوبة الحجارة تفسيراً علمياً، وسوف نقف مع تفسيره ثم نقارنه بكلام السلف والمفسرين.

قال ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا عَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾: (ومعنى ذلك: أنه رفعها في الجو ثم سقطت أو أسقطها في باطن الأرض وذلك من أثر زلازل وانفجارات أرضية بركانية... والذي غشاها هو مطر من الحجارة المحماة، وهي حجارة بركانية قذفت من فوهات كالآبار كانت في بلادهم ولم تكن ملتبهة من قبل... وفاضت عليها مياه غمرت بلادهم فأصبحت بحراً ميتاً).^(٢)

وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾: (والسجيل: فسر بواد نار في جهنم يقال: سجيل باللام، وسجين بالنون... وقد جاء في التوراة: أن الله أرسل عليهم كبريتاً ونارا من السماء، ولعل الخسف فجر من الأرض براكين قذفت عليهم حجارة معادن محرقة كالكبريت، أو لعل بركاناً كان قريباً من مدنهم انفجر باضطرابات أرضية ثم زال من ذلك المكان بحوادث تعاقبت في القرون، أو

(١) الزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٤١٦؛ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٣: ١٩٧؛ ابن جزي، "التسهيل"،

١: ٣٧٦؛ الرازي، "تفسير الرازي"، ١٩: ٣٨٣.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٧: ١٥٥؛ وقد رجح هذا التفسير العلمي العقلي صاحب "المنار"،

طمي عليه البحر وبقي أثر البحر عليها حتى الآن، وهو المسمى بحيرة لوط أو البحر الميت).^(١)
وقد عرضت آنفاً ملخص كلام السلف والمفسرين حول هذه الآية، وكل أقوالهم مخالفة لما ذكره ابن عاشور، وإنما حصل بينهم خلاف في معنى الحجارة من سجل: وجمهور السلف والمفسرين أنها كلمة معربة تعني: الطين، قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك^(٢) ورجحه الطبري وابن عطية، وغيرهم^(٣)، ويدل عليه نص قوله تعالى: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]، وقال بعضهم: إنها السماء الدنيا قاله ابن زيد^(٤)، ويرده وصفه بالمنضود، أي: المتتابع، ونقل ابن عطية عن الحسن أنها كانت كالآجر المطبوخ من طين قد تحجر، ولا يعارض قول الجمهور، قال ابن عطية: (وهذا قول يشبه وهو الصواب الذي عليه الجمهور).^(٥)

ونبه على قول ذكره وهب بن منبه نقله ابن عاشور من التوراة أن الحجارة كانت من كبريت ونار^(٦)، وترده نصوص القرآن المتواترة في وصفها بالحجارة، قال ابن عطية: ((وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ)، نص على إمطار وتظاهرت الآيات في غير هذه السورة أنه بحجارة)^(٧)، وفي تنبيه ابن عطية على أنه كان مطراً من السماء رد على ما ذكره ابن عاشور إنه كان بسبب براكين قذفت عليهم حجارة، وأما ما ذكره ابن عاشور في معنى السجيل وأنه وادٍ في جهنم، فهو خلاف النص القرآني وكلام عامة السلف والمفسرين، ويمكن الجواب على قول ابن عاشور بما يلي:
أولاً: إنه خلاف النص القرآني في بيان معنى الحجارة وأنها من طين صلب شديد،

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٢: ١٣٤؛ وقد نقل تفسيره بجهنم: الرازي في "تفسيره"، ١٨: ٣٨٣.

(٢) أخرج الآثار الطبري، "تفسير الطبري"، ١٥: ٤٣٣-٤٣٥؛ وابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ٦: ٢٠٦٨.

(٣) الطبري، "تفسير الطبري"، ١٥: ٤٣٥؛ الزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٤١٦؛ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٣: ١٩٨.

(٤) أخرجه الطبري، "تفسير الطبري"، ١٥: ٤٣٤.

(٥) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٣: ١٩٨؛ ابن جزي، "التسهيل"، ١: ٣٧٦؛ أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٦: ١٩١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ٥: ١٥١٧، وهو ما نقله ابن عاشور من التوراة.

(٧) ابن عاشور، "المحرر الوجيز"، ٢: ٤٢٥.

وكانت مطرا من السماء وليست من براكين أو زلازل ونحوها، ومخالف لإجماع السلف والمفسرين بل هو قول حادث لا يجوز تفسير كلام الله تعالى به، والبراكين والزلازل كانت معلومة لدى الصحابة والتابعين والمفسرين ولم يشر أحد منهم إشارة إلى ذلك في بيان معنى الآية مما يدل على بطلانه.

ثانياً: إن مثل هذه التفسيرات العلمية مع مخالفتها لأصول التفسير ففيها بُعد عقدي يغلب الجانب العقلي في التفسير العلمي التجريبي للمعجزات على الجانب الغيبي الإعجازي، وهذه طريقة مخالفة لطريقة السلف في التسليم بالنصوص والمعجزات في قدرة الله على العقوبات العامة للأمم المخالفة لأنبيائها فلسنا بحاجة لمثل هذه التعسفات في تفسير النصوص مع ظهورها وبيانها عند السلف والمفسرين، ولا يجوز تعليل ما وقع لهم بأنه كان زلزالاً أو بركانا عابراً مما يقع في كل حين فالمنهج الإيماني بعيد عن مثل هذه المحاولات التأويلية، وهذا هو المنهج في تفسير معجزات الرسل أجمعين.

ثالثاً: تأول ابن عاشور قوله: ﴿عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ إلى خسف أرضي طبيعي، وخالف كلام سائر المفسرين في قلب جبريل عليه السلام لهذه القرى بجناحه ورفعها إلى علو ثم إلى سفول، وهذا داخل ضمن التفسير العقلي العلمي للآية، وقد ذكر هذا التفسير حذيفة بن اليمان^(١) وابن عباس^(٢) ومجاهد والحسن وقتادة والسدي^(٣)، وهو قول الطبري^(٤). وهذه الأجوبة تبين بجلاء ضعف ما ذهب إليه ابن عاشور وأنه قول مخالف لعدد من أصول التفسير في بيان معنى كلام الله تعالى.

المثال الثاني: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]

هذه الآية تخبر عن معجزة نبوية وهي انشقاق القمر نصفين وقد ثبتت هذه المعجزة في الكتاب والسنة وإجماع السلف، وحاول ابن عاشور تفسيرها تفسيراً علمياً مع كونه ذكر أنها معجزة نبوية، وسوف نقف مع تفسيره ثم نناقشه من خلال أقوال السلف والمفسرين.

(١) أخرجه عبدالرزاق في "المصنف"، ١: ٣٠٧؛ والطبري في "تفسيره"، ١٥: ٤٤١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ٦: ٢٠٦٦.

(٣) أخرج الآثار الطبري، "تفسير الطبري"، ١٥: ٤٤١.

(٤) الطبري، "تفسير الطبري"، ١٥: ٤٤١.

قال ابن عاشور: (.. فيجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لاحت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين بينهما سواد حتى يخيل أنه منشق إلى قمرين.. ويجوز أن يكون قد حصل في الأفق بين سمت القمر وسمت الشمس مرور جسم سماوي من نحو بعض المذنبات حجب ضوء الشمس عن وجه القمر بمقدار ظل ذلك الجسم على نحو ما يسمى بالخشوف الجزئي... ومن الممكن أن يكون هذا الانشقاق حدثاً مركباً من خسوف نصف في القمر على عادة الخسوف فحجب نصف القمر، والقمر على سمت أحد الجبلين وقد حصل في الجو ساعتئذ سحب مائي انعكس في بريق مائه صورة القمر مخسوفاً بحيث يخاله الناظر نصفاً آخر من القمر دون كسوف طالعا على جهة ذلك الجبل،.. ويؤيد هذا ما أخرجه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سحر القمر فنزلت: (اقتربت الساعة)^(١)... وهذا الوجه لا ينافي كون الانشقاق معجزة لأن حصوله في وقت سؤالهم من النبي صلى الله عليه وسلم آية وإلهام الله إياهم أن يسألوا ذلك في حين تقدير الله كاف في كونه آية صدق).^(٢)

هذه الاحتمالات في التفسير العلمي ذهب إليها ابن عاشور، فلنقف مع النصوص وكلام السلف في تفسير الآية في هذه المعجزة ثم نناقش ما ذهب إليه ابن عاشور.

ففي انشقاق القمر قولان عن المفسرين:

القول الأول: إنه وقع في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، ففي البخاري عن ابن مسعود، قال: (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اشهدوا)،^(٣) وفي رواية عن أنس بن مالك: (فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما)^(٤)، والأحاديث من رواية عدد من الصحابة جبير بن مطعم وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأنس بن مالك وابن عمر وابن عباس وهو قول

(١) رواه الطبراني في "المعجم الكبير"، ١١: ٢٥٠، برقم: (١١٦٤٢)؛ وقال ابن كثير: "إسناده جيد".
"البداية والنهاية"، ٣: ١٤٩.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير": (١٦٩/٢٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (وانشق القمر)، ٦: ١٤٢، برقم: (٤٨٦٥).

(٤) في كتاب مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، ٥: ٤٩، برقم: (٣٨٦٨).

جماهير السلف: مجاهد وقتادة والضحاك^(١)، وستأتي حكاية الإجماعات في ذلك.

القول الثاني: إن انشقاق القمر سيقع يوم القيامة، رواه الثعلبي والواحدي عن عطاء الخراساني^(٢)، ونسبه الماوردي للحسن^(٣)، قالوا: لأنه لو انشق ما بقي أحد إلا رآه لأنها آية والناس في الآيات سواء، قال ابن جزى: (وهذا قول باطل تردّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله).^(٤) ويرده أيضا قوله بعدها: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، فإن المشركين قالوا: سحرنا محمد، وكفى به رادّا للقول.^(٥)

وأما ما ذكره ابن عاشور من التفسيرات العلمية فيمكن الجواب عنه بما يلي:

أولاً: لم يذكر هذه التفسيرات العلمية المعروفة أحد من الصحابة ممن وصف انشقاق القمر، وقد كانوا على معرفة بمظاهر الخسوف والفرق بينه وبين الانشقاق المعجز، وقد وصفه المشركون بالسحر وسألوا عنها بعض المسافرين كما جاء في بعض الروايات^(٦)، ولو كان خسوفا عاديا لما استنكره المشركون، ولكنه كان بطلب وتحدٍ منهم، ونعت الصحابة له يخالف ظاهرة الخسوف في شقه نصفين وبينهما جبل حراء، وفي رواية: فرقة فوق الجبل وأخرى

(١) أخرج الآثار الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٢: ٥٦٦-٥٦٨؛ البغوي، "معالم التنزيل"، ٧: ٤٢٥؛ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٥: ٢١١.

(٢) أخرجه الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، "التفسير البسيط"، تحقيق: عدة باحثين في جامعة الإمام محمد بن سعود، (ط١)، الرياض: جامعة الإمام، ١٤٣٠هـ)، ٢١: ٨٩.

(٣) الماوردي، "النكت والعيون"، ٥: ٤٠٩، لم أقف له على سند، فلا تصح نسبته للحسن، وما شذ الماوردي في نسبته عن المفسرين ففي الغالب لا يثبت قولاً، ولذلك حكم عدد من المفسرين على مخالفته للإجماع لعدم اعتدادهم بالقول.

(٤) ابن جزى، "التسهيل"، ٢: ٣٢٢؛ وحكى الزجاج وابن عطية وابن الجوزي وغيرهم الإجماع عليه في "معاني القرآن"، ٥: ٨١؛ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٥: ٢١١.

(٥) الزمخشري، "الكشاف"، ٤: ٤٣٠؛ الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٩: ٢٨٨.

(٦) رواه الطيالسي في المسند، سليمان بن داود بن الجارود، "مسند أبي داود الطيالسي". تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، (ط١)، القاهرة، دار هجر، ١٤١٩هـ)، ١: ٢٣٦، برقم: (٢٩٣)؛ الطبري في "التفسير"، ٢٢: ٥٦٧؛ والبيهقي في "دلائل النبوة"، ٢: ٢٦٦.

دونه،^(١) وهي روايات تؤكد الفرق بينه وبين الخسوف، وأما رواية ابن عباس فهي الرواية الوحيدة في النعت بالكسوف، وهي رواية بالمعنى ولا تخالف الروايات الصريحة في تفصيل انشقاق القمر الثابتة عن بقية الصحابة، والمجمل في مثل هذا يحمل على المبين.

ثانياً: ليس في تفسير السلف والمفسرين المتقدمين وأقوالهم من ذهب إلى هذه التفسيرات التي ذهب إليها ابن عاشور في بيان المعنى، بل كلهم على خلافها في بيان المعجزة على ظاهرها مع معرفتهم بالظاهرة الكونية التي ذهب إليها، وعدم خفائها عليهم.

ثالثاً: مثل هذه التعسفات في تفسير النصوص تفتح الباب على مصراعيه للعقلانيين في تأويل المعجزات والغيبيات بما يوافق الظواهر الكونية، بل قد تتضمن إنكار بعض المعجزات إذا لم توافق التفسير العلمي المعروف، وكانت خارجة عن السنن الكونية الطبيعية، ويكون الموقف حينئذ إما إنكارها مطلقاً أو تأويلها بما يوافق العقول البشرية، ولا يخفى ما في هذا المنهج من خطأ في فهم معاني النصوص الشرعية، فالتسليم بالمعجزة على ظاهرها هو المنهج الإيماني الموافق لمنهج أهل السنة والجماعة، ولذلك لم يخالف فيها إلا الفلاسفة والنظام ونحوهم.^(٢)

المثال الثالث: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤] يخبر تعالى عن معجزة وقعت في غزوة بدر فقد أرى الله المؤمنين عدوهم قليلاً في أعينهم، وقللهم في أعين المشركين، فكل من الطائفتين ترى الأخرى قليلة، لتقدم كل منهما على الأخرى، ﴿لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من جرأة المشركين وقلة مبالاة بهم، وصارفاً لهم عن التأهب، وجرأة المؤمنين تقوية لقلوبهم وعزمهم.

هذا مجمل تفسير الآية من أقوال السلف والمفسرين على تفصيلات لا أثر لها في

(١) تقدم تحريجهما والروايتان في البخاري.

(٢) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى". (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩ هـ)، ٥٤٧؛ الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٩: ٢٨٨؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، "فتح الباري شرح صحيح البخاري". تحقيق محب الدين الخطيب، (ط بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ)، ٧: ١٥٨.

المعنى، وممن ذكر هذا المعنى: ابن مسعود والسدي والكلبي^(١)، وهو قول عامة المفسرين^(٢).
وأما ابن عاشور فقد حاول تفسير الآية تفسيراً علمياً مع إقراره بحصول المعجزة، قال:
(وهذا التخيل قد يحصل من انعكاس الأشعة واختلاف الظلال، باعتبار مواقع الرائيين من ارتفاع المواقع وانخفاضها، واختلاف أوقات الرؤية على حسب ارتفاع الشمس، وموقع الرائيين من مواجهتها أو استدبارها، وبعض ذلك يحصل عند حدوث الآل^(٣) والسراب، أو عند حدوث ضباب أو نحو ذلك، وإلقاء الله الخيال في نفوس الفريقين أعظم من تلك الأسباب)^(٤). وقبل نقاش هذا التفسير العلمي لنقف مع آثار الصحابة ممن شهد هذا الحدث، قال ابن مسعود: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة قال: فأسرنا رجلاً منهم فقلنا: كم هم؟ قال: ألفا^(٥).
وقال السدي: قال ناس من المشركين: إن العير قد انصرفت فارجعوا. فقال أبو جهل:
الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه! فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم. وقال: يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح، ولكن خذوهم أخذاً، فاربطوهم بالحبال، يقوله من القدرة في نفسه^(٦).

(١) أخرج أثر ابن مسعود والسدي: الطبري، "تفسير الطبري"، ١٣: ٥٧٢؛ وأثر الكلبي: يحيى بن سلام كما في "تفسير ابن أبي زمنين"، ٢: ١٨٠.
(٢) أخرج الآثار الطبري، "تفسير الطبري"، ١٣: ٥٧٢؛ ابن أبي حاتم، "تفسير ابن أبي حاتم"، ٥: ١٧١٠؛ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٢: ٥٣٥؛ "موسوعة التفسير بالمأثور"، ١٠: ١٠٨.
(٣) الآل: هو السراب قاله الأصمعي. ابن منظور، "لسان العرب" مادة: (أل)، ١: ٤٦٥.
(٤) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٠: ٢٧، وذهب إلى نحو هذا التأويل الزمخشري إذ قال: (فإن قلت: بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً؟ قلت: بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر، أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير)، ٢: ٢٢٦، أبوحيان، "البحر المحيط"، ٥: ٣٣١؛ محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، ١٠: ١٩.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار". تحقيق كمال الحوت، (ط١)، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ، ٧: ٣٦٠؛ والطبري، "تفسير الطبري"، ١٣: ٥٧٢.
(٦) الطبري، "تفسير الطبري"، ١٣: ٥٧٣.

وبعد هذه الآثار عن الصحابة في بيان هذه المعجزة، فيمكن الجواب عن تفسير ابن عاشور العلمي بما يلي:

أولاً: إن مثل هذه التفسيرات مخالف لظاهر القرآن في كونها معجزة ربانية، ولذلك لا يصح حملها على هذه التفصيلات إلا بنقل ظاهر، بل إنها مخالفة لتفسير الصحابة والسلف فلم يرد عن أحد منهم حصول السراب والضباب وانعكاس الأشعة ونحوها مع كونها معلومة لدى الصحابة بل مما يتداعى الصحابة على نقلها.

ثانياً: جاء في تفصيلات المعركة في سورة آل عمران أنهم حين اللقاء اختلف العدد في الرؤية إلى الضعف قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَلْتُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْآخَرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] وسواء كان الرائي هم المشركون أو المسلمون^(١) فكيف يمكن تفسير هذه الآية أيضاً تفسيراً علمياً مع الآية السابقة إذ انتقل رؤية ضعف العدد قبل القتال إلى تقليل العدد أثناء القتال، وهو دليل على أن الرؤية في أول المعركة وفي وسطها من تقدير الله بعيداً عن هذه التفسيرات العلمية التي قد يرد عليها إشكالات كثيرة لا تجد لها جواباً فالتسليم للمعجزة تسليماً تاماً هو الموافق لظاهر النصوص ومنهج السلف.

ثالثاً: هذه التفسيرات العلمية تؤول إلى التفسير العقلي لكثير من المعجزات والنصوص وتفتح باباً لكل مؤول في باب الغيبيات لأن باب المعجزة لا يصح تفسيره من جهة سبب الوقوع فحنين الجذع^(٢) ونبع الماء بين أصابعه^(٣) وانشقاق القمر كلها معجزات يعجز العقل أو العلم عن تفسيرها علمياً لكونها مخالفة للسنن الكونية فهي معجزات خارقة للعادة يجريها الله على يد النبي لإظهار صدق نبوته، وهذا منهج أهل السنة والجماعة وسلف الأمة من الصحابة والتابعين، وبهذا يظهر ضعف ما ذهب إليه ابن عاشور في هذا التفسير العلمي، مع مخالفته لظاهر الآية وأقوال السلف في التعامل مع المعجزات والنصوص الشرعية.

(١) هما قولان للمفسرين. الطبري، "تفسير الطبري"، ٦: ٢٣٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ٤: ١٩٥، برقم: (٣٥٨٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ٤: ١٩٢، برقم: (٣٥٧٢).

الخاتمة

وبعد هذا التطواف والبحث في هذا الموضوع فيمكن الخروج بهذه النتائج:

أولاً: إن التفسير العلمي التجريبي من أنواع التفسير التي أصبح لها رواج بين المفسرين المعاصرين، وله أثر في اختياراتهم على تفاوت بينهم في التوسع فيه.

ثانياً: إن العلامة ابن عاشور كان له مصطلح خاص بالإعجاز العلمي، وله اهتمام بالتفسير العلمي التجريبي، على عناية بمعنى الآيات اللغوي وبقية أصول التفسير.

ثالثاً: برع ابن عاشور في توسيع معاني الآيات من خلال الاكتشافات العلمية وجمعها مع المعاني التي ذكرها المفسرون في كتاب الله، وما ذكرته من الأمثلة لا يقلل من منزلة تفسيره في هذا الجانب، وإنما ذكرت الأمثلة لبيان أنواع الأثر للتفسير العلمي على أقواله.

رابعاً: رغم إمامة ابن عاشور في التفسير، ومكانة تفسيره العظيمة بين التفاسير، وعنايته بلغة العرب خاصة إلا أن تفسيره لم يخل من بعض الهنات في آيات التفسير العلمي التجريبي، وهو دليل على أن ولوج المفسر هذا الباب مظنة الزلل والخطأ لعدم التخصص فيه من جهة، ولأن كثيراً منه مجرد نظريات لم تصل حد الحقائق اليقينية.

خامساً: ظهور تأثير بعض المفسرين المعاصرين بابن عاشور فيما ذهب إليه من ترجيحات في مسائل التفسير العلمي التجريبي.

التوصيات:

أولاً: الدراسة التطبيقية لمواقف المفسرين المعاصرين من التفسير العلمي التجريبي، والمقارنة بينهم ومعرفة أثرها في أقوالهم وترجيحاتهم.

ثانياً: البحث في البعد العقدي في الاتجاه العلمي التجريبي لدى المفسرين المعاصرين، وأثرها في تفسير المعجزة لديهم.

ثالثاً: إخراج دراسة موسوعية للتفاسير العلمية الواردة في الآيات القرآنية تحت فريق متخصص من المفسرين والتخصصات العلمية التجريبية لتمحيص الصواب من الخطأ، والخروج بضوابط في التفسير العلمي التجريبي بعيداً عن الشطط والانحراف في تفسير كلام الله تعالى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن أبي حاتم، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق أسعد الطيب، (ط ٢، مكة المكرمة: مكتبة مصطفى الباز، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).

ابن بطة العكبري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد، "الإبانة الكبرى". تحقيق حمد التويجري وآخرون، (ط ١، الرياض: دار الراجعية، ١٤٢٩هـ).

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، "مجموع الفتاوى". جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (ط ١، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ).

ابن جزى، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي. "التسهيل لعلوم التنزيل". (ط ١، بيروت: مؤسسة دار الأرقم، ١٤١٦هـ).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، "فتح الباري شرح صحيح البخاري". تحقيق محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

ابن عاشور، محمد الطاهر، "التحرير والتنوير". (تونس: دار سحنون، ١٩٨٤م).

ابن عثيمين، محمد بن صالح، "أصول في التفسير". (ط ١، المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢هـ).

ابن عثيمين، محمد بن صالح، "تفسير القرآن الكريم، جزء عم". (ط ٢، الرياض: دار الشريا للنشر، ١٤٢٣هـ).

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، "مقاييس اللغة". تحقيق عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. "إعلام الموقعين عن رب العالمين". تحقيق مشهور سلمان، (ط ١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، "البداية والنهاية". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط ١، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨هـ).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق سامي السلامة، (ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

أبو السعود، محمد بن مصطفى العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (ط٤، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٤هـ).

أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار". تحقيق كمال الحوت، (ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ).

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، "زهرة التفاسير". (ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م).

أبو عبدالله أحمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

أبو علي الفارسي، الحسن بن عبدالغفار، "الحجة للقراء السبعة". تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرون، (ط٢، الرياض: دار المأمون، مكتبة الرشد، ١٤٣٩هـ).

أحمد مصطفى متولي، "الموسوعة الذهبية في اعجاز القرآن والسنة النبوية". (ط١، القاهرة: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، "تهديب اللغة". تحقيق محمد عوض، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠١م).

الألباني، محمد ناصر الدين، "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة". (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ).

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري". تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، "معالم التنزيل". تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرون، (ط٤، الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ).

البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ).

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. "الأسماء والصفات". تحقيق عبدالله الحاشدي، (ط ١)، جدة: مكتبة السوادني، ١٤١٣هـ).

الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبد الله، "المستدرک علی الصحیحین". تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).
الخطيب، عبد الكريم، "التفسير القرآني للقرآن". (ط ١)، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٩٠هـ).

د. زغلول النجار، "من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن". (ط ٤)، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ).

د. عادل الشدي، "التفسير العلمي التجريبي". (ط ١)، الرياض: مدار الوطن، ١٤٣١هـ).
د. مساعد الطيار. "الإعجاز العلمي إلى أين؟". (ط ٢)، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٣٣هـ).
الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، "میزان الاعتدال فی نقد الرجال". تحقيق علي محمد البجاوي، (ط ١)، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ).
الرومي، فهد، "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر". (ط ٣)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ).

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، "معاني القرآن وإعرابه". (ط ١)، بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٨هـ).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط ٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

السعدي، داود، "أسرار خلق الإنسان، العجائب في الصلب والترائب". (ك ١)، بيروت: دار الحرف العربي، ١٤١٤هـ).

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحي، (ط ١)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، "تفسير القرآن". تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، (ط ١)، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ).

السيوطي، جلال الدين، "الدر المنثور في التفسير بالماثور". (ط ١)، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

- الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي". (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، دار الثقافة، لا توجد طبعة).
- الشنقيطي، محمد الأمين، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ).
- الشنقيطي، محمد الأمين، "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب". (ط١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ).
- الشهاب الخفاجي، "عناية القاضي وكفاية الرازي، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي". (ط١، بيروت: دار صادر، ١٤٢٩هـ).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق أحمد شاكر، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
- الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، "مسند أبي داود الطيالسي". تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤١٩هـ).
- الطبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله، "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطبي على الكشف)". تحقيق محمد عبدالرحيم، جائزة دبي، (ط١، ١٤٣٤هـ).
- عادل الجليفي، "الصلب والترائب بين أقوال المفسرين وأهل الطب". بحث منشور في مجلة الدراسات العربية، (جامعة المنيا، العدد السابع والثلاثون، ٢٠١٨م).
- عبدالله الأهدل، "التفسير العلمي للقرآن الكريم دراسة وتقييم"، (رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه ١٤٠٠هـ).
- فخر الدين الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ).
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، "معاني القرآن". تحقيق أحمد يوسف النجاشي، محمد علي النجار، (ط١، القاهرة: الدار المصرية).
- الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، "القاموس المحيط". (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ).
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، "محاسن التأويل". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى". (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩ هـ).

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ).
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، "النكت والعيون". تحقيق السيد عبدالمقصود بن عبد الرحيم، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ).

مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط"، (ط٤، القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢٥ هـ).
محمد رشيد رضا، "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)". (ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م).

محمود البعداني. "إعجاز القرآن عند ابن عاشور". (ط١، جامعة الملك سعود، كرسي القرآن وعلومه، ١٤٣٥ هـ).

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، "تفسير المراغي". (ط١، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٥ هـ).

مروان شعبان. "الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث". (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٧ هـ).

معهد الإمام الشاطبي، "موسوعة التفسير بالمأثور"، (ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٩ هـ).
مقاتل بن سليمان، "تفسير مقاتل بن سليمان". تحقيق عبدالله شحاتة، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣ هـ).

الميداني، عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة، "معارج التفكير ودقائق التدبر". (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٣ هـ).

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، "معجم البلدان". (ط٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥ م).

يوسف الحاج، "موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة". (ط٢، دمشق، مكتبة ابن حجر، ١٤٢٤ هـ).

Bibliography

The Holy Quran

- Ibn Abi Haatim, "Tafseer Al-Qur'an Al-'Adheem". Investigation: Asa'ad At-Tayyib, (2nd ed., Makkah Al-Mukarramah: Mustafa Al-Baaz, 1427 AH).
- Ibn Al-Jawzi, Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abdul Rahman Bin Ali, "Zaad Al-Maseer Fi 'Ilm At-Tafseer". Investigation: Abdulrazzaq Al-Mahdi, (1st ed., Beirut: Dar Alkitab Al Arabi, 1422 AH).
- Ibn Battah Al-'Akbari, Abu Abdullah Ubaid Allah bin Muhammad, "Al-Ibana Al-Kubra". Investigation: Hamad Al-Tuwaijri et al., (1st ed., Riyadh: Dar Al Raya, 1429 AH).
- Ibn Taymiyyah, Abu Al Abbas Ahmed bin Abdul Halim, "Majmu Al Fatawa". Compiler: AbdulRahman Bin Muhammad Bin Qasim (1st ed., Medina: King Fahd Complex For The Printing of The Holy Quran, 1416 AH).
- Ibn Juzayy, Abu Al-Qasim Muhammad Ibn Ahmed Al-Kalbi, "Al Tashil Li Ulum Al Tanzil". (1st ed., Beirut: Dar Al-Arqam, 1416 AH).
- Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmed bin Ali, " Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari". (Investigation: Muhibb Al-Din Al-Khatib, (Beirut: Dar Al Marefa, 1379 AH).
- Ibn Ashur, Muhammad Al Tahir, " Tafsir Al-Tahrir Wa Al-Tanwir". (Tunisia: Dar Sahnoun, 1984 AD).
- Ibn Al Uthaymeen, Muhammad bin Saleh, "Osool Fe Al-Tafseer". (1st ed., Almaktabah Al Islamieh, 1422 AH).
- Ibn Al Uthaymeen, Muhammad bin Saleh, "Tafseer Al-Quran Al-Kareem, Juz' Amma". (2nd ed., Riyadh: Dar al-Thuraya li Nashr, 1423 AH).
- Ibn Atiyah Al-Andalusi, Abu Muhammad Abd Al-Haqq Ibn Ghalib, "Al-Muharrar Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-'Aziz". (1st ed., Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1422 AH).
- Ibn Faris, Ahmed bin Faris bin Zakaria, " Maqayees Allugha". Investigation: Abdul Salam Haroun, (Beirut: Dar el Fikr, 1399 AH).
- Ibn Qayyim al-Jawziyya, Muhammad Ibn Abi Bakr Ibn Ayyub, " A'lam al-Muwaqqi'in 'an Rabb al-'Alamin". Investigation: Mashhoor Salman, (1st ed., Dammam: Dar Ibn al-Jawzi, 1423 AH).
- Ibn Kathir, Abu Alfida Ismail Bin Omar, "Al-Bidaya wa al-Nihaya". Investigation: Abdullah bin Abdul Mohsen Al Turki, (1st ed., Cairo: Dar Hajar for printing, publishing, distribution and advertising, 1418 AH).
- Ibn Kathir, Abu Alfida Ismail Bin Omar, "Tafsir al-Quran al-Adheem". Investigation: Sami Al-Salamah, (2nd ed., Riyadh: Dar Taibah, 1420 AH).
- Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din al-Ansari, "Lisan Al-Arab". (3rd ed., Beirut: Dar Sader, 1414 AH).
- Abu Alsaud, Muhammad Bin Mustafa Al-Emadi, "Irshad Al-Aql Al-Saleem Ila Mazaya Al-Kitab Al-Karim". (4th ed., Beirut: Dar Ihya Al-Turath,

1414 AH).

Abu Bakr Ibn Abi Shaybah, Abdullaah bin Muhammad, " Al-Kitab Al-Musannaf Fi Al-Ahadith Wa Al-Athar". Investigation: Kamal Al-Hout, (1st ed., Riyadh: Rushd Bookstore, 1409 AH).

Abu Zahra, Muhammad ibn Ahmad ibn Mustafa, "Zahrat Altafaseer". (1st ed., Cairo: Dar Al Fikr Al Arabi, 1988 AD).

Ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmad, "Musnad Al Imam Ahmad Bin Hanbal". Investigation: Shuaib Al Arnaout, (1st ed., Beirut: Al-Resalah Foundation, 1421 AH).

Abu Ali Al-Farsi, Al-Hassan ibn Abdul-Ghaffar, "Al Huja Lil-Qurra' Al-Sab'a". Investigation: Badr Al-Din Kahwaji et al., (2nd ed., Riyadh: Dar Almamoon, Rushd Bookstore, 1439 AH).

Ahmed Mostafa Metwally, "Al Mawsoa El Zahabeya Fi I'jaz Al Quran Wa Al-Sunna Al- Nabawiya". (1st ed., Cairo: Dar Ibn al-Jawzi, 1426 AH).

Al Azhari, Abu Mansour Muhammad Bin Ahmed, "Tahdhib Al-Lugha". Investigation: Mohamed Awad, Mohamed Awad, (1st ed., Beirut: Dar Ihya Al-Turath, 2001 AD).

Al-Albani, Muhammad Nasir Al-Din, "Silsilat Al-Ahadeeth Ad-Dha'eefah Wa Al-Mawdo'a". (1st ed., Riyadh: Maktabat Al Maaref, 1408 AH).

Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail, "Sahih Al-Bukhari". Investigation: Mohammed Zuhair bin Nasser Al Nasser, (1st ed., Beirut: Dar Tawq Al-Najah, 1422 AH).

Al-Baghawi, Abu Muhammad al-Husayn Ibnu Mas'ud, "Ma'alim At-Tanzil". Investigation: Muhammad Abdallah Al-Nimr et al., (4th ed., Riyadh: Dar Taibah, 1417 AH).

Al-Baydawi, Nasir Al-Din Abdullah ibn Umar, "Anwar al-Tanzil wa-Asrar al-Ta'wil". Investigation: Mohammad Abdul Rahman al-Marashli, (1st ed., Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1418 AH).

Albayhaqi, Ahmed Bin Alhussein Bin Ali, "Al-Asma' Wal Sifat". Investigation: Abdullah Al Hashedi (1st ed., Maktabah al-Sawadi, 1413 AH).

Al-Hakim, Abu Abd-Allah Muhammad ibn Abd-Allah, "Al-Mustadrak Alaa Al-Sahihain". Investigation: Mustafa Abdel-Qader Atta, (1st ed., Beirut: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 1411 AH).

Al-khatib, Abd-Alkarim, "Al-Tafsir Al-Qur'ani Lil-Qur'an". (1st ed., Cairo: Dar Al Fikr Al Arabi, 1390 AH).

Dr. Zaghoul, El-Naggar, "Min al-Ayat al-I'jaz al-Ilmy, Al-Sama' fi Al-Qur'an". (4th ed., Beirut: Dar Al Marefa 1428 AH).

Dr. Al-Sheddi, Adel, "Al Tafseer Al Ilmi Al Tajribi". (1st ed., Riyadh: Madar Al Watan for Puplicaton, 1431 AH).

Dr. Altayyar, Mosaed, "Al-I'jaz Al-Ilmi Ila Ayn?". (2nd ed., Dammam: Dar Ibn al-Jawzi, 1433 AH).

Al-Dhahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmed, "Mizan Al'iitedal Fi Naqd Al Rijal". Investigation: Ali Muhammad Al-Bedjawi, (1st ed., Beirut: Dar Al-Marefa for Printing and Publishing 1382 AH).

- Al-Rumi, Fahd, "Itijahat al tafseer fi al qarn alrabe' ash'r ". (3rd ed., Beirut: Alresala Foundation, 1418 AH).
- Al-Zajjaj, Abu Ishaq Ibrahim Bin Alsirri, " Ma'ānī al-Qur'ān w e'raboh". (1st ed., Beirut: Dar Alam al-Kutub, 1408 AH).
- Al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn Umar, " Al-kashshaf 'an haqa'iq ghawamid al-tanzil". (3rd ed., Beirut: Dar AlKitab Al Arabi, 1407 AH).
- Alsaadi, Dawoud, "A'srar khilk alinsan, ala'jaa'b fi alsib waltraa'b". (1st ed., Beirut: Dar Alharef Alarabi 1414 AH).
- Al-Sa'di, Abdul-Rahman Bin Nasir, " Tayseer Al-Kareem Ar-Rahman fee Tafseer Kalam Al-Manaan" Investigated by Abdelrehman bin Maala Allowaihiq (1st ed., Beirut: Alresala Foundation, 1420 AH).
- Al-Samani, Abu al-Muzaffar Mansour bin Muhammad bin Abdul-Jabbar, " Tafsir Al Quran", Investigated by Yasser bin Ibrahim and Ghoneim bin Abbas (1st ed., Riyadh: Dar AlWatan, 1418 AH).
- Al-Suyuti, Galal El-Dean, " Aldor Almanthor fee Altafseer Belmaa'thor". (1st ed., Beirut: Dar Al Fikr, 1420 AH).
- Al-Sha'rawi, Muhammad Metwalli, " Tafseer Al-Sha'rawi". (Cairo: Akhbar El Yom newspaper, Dar El Thaqafa, No edition).
- Al Shanqiti, Muhammad Al Amin, " Adwa al-Bayan fi Iydah al-Quran bi 'l-Quran". (1st ed., Beirut: Dar Al Fikr, 1415 AH).
- Al Shanqiti, Muhammad Al Amin, " Dafa' eiham aledtraab a'n ayat alkitab". (1st ed., Cairo: Ibn Taymiyyah Library, 1417 AH).
- Al-Shehab Al-Khafaji, "Inayat al-qadi wa-kifayat al-radi, Hashiyat al-Shihab 'ala tafsir al-Baydawi". (1st ed., Beirut: Dar Sader, 1429 AH).
- Al-Tabari, Abu Jafar Muhammad ibn Jarir, " Jāmi' al-bayān 'an ta'wīl āy al-Qur'ān". Investigated by Ahmed Shaker (1st ed., Beirut: Alresala Foundation, 1420 AH).
- Al Tayalisi, Sulayman bin Dawud bin Al-Jaroud, " Musnad Abu Dawood al-Tayalisi". Investigated by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki (1st ed., Cairo: Dar al-Hajar, 1419 AH).
- Al-Tibi, Sharaf Al-Din Al-Hussein bin Abdullah, " Futūḥ al-ghayb fī al-kashf 'an qinā' al-rayb (Hāshiyat al-Ṭībī 'alā al-Kashshāf)". Investigated by Mohammed Abdul Rahim, Dubai Award (1st ed., 1434 AH).
- Adel Al-Julaifi, " Alsoulb wltaraa'b been aqwal almofsreen a ahl altei'b". Research published in the Journal of Arab Studies, (Minia University, the thirty-seventh issue, 2018 AD).
- Abdullah Al-Ahdal, " Altafseer Alei'lmi llQuran Alkareem dirasa w taqweem", (Master Thesis at Imam Muhammad bin Saud University - College of Fundamentals of Religion - Department of the Qur'an and its Sciences 1400 AH).
- Fakhr al-Din al-Razi, Abu Abdullah Muhammad ibn Umar, " Mafatih al-Ghayb". (3rd ed., Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth, 1420 AH).
- Al-Farra, Abū Zakariyā' Yaḥyā ibn Ziyād, " Ma'ānī al-Qur'ān". Investigated

- by Ahmed Yousef Al-Najati, Muhammad Ali Al-Najjar (1st ed., Cairo: Aldar Almasriah).
- Fairuzabadi, Abū al-Ṭāhir Muḥammad ibn Ya'qūb, "Al Qamoos al Muheet". (8th ed., Beirut: Alresala Foundation, 1426 AH).
- Al Qasimi, Muhammad Jamal al-Din bin Muhammad, "Mahasen Al-Taa'weel". (1st ed., Beirut: Dar al kotob al ilmiyah, 1418 AH).
- Al Qadi Ayyad, Abu al-Fadl Ayyad ibn Mussa al-Yahsubi, "Al-Shifa bi-Ta'rif Huqūq al-Mustafā". (Beirut: Dar al Fikr, 1409 AH).
- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr, "Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an". Investigated by Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Etfayyesh (2nd ed., Cairo: Dar Al-Kottob Al-Masryyia, 1384 AH).
- Al Mawardi, Abu al-Hassan Ali bin Muhammad, "Alnkt wala'youn". Investigated by Alsayyed Abdul Maksoud bin Abdul Rahim (1st ed., Beirut: Dar al kotob al ilmiyah, 1425 AH).
- Academy of the Arabic Language, "Al-Mu'jam al-Wasit", (4th ed., Cairo: Al Shorouk Bookstores, 1425 AH).
- Mohammed Rashid Reda, "Tafsīr al-Qur'ān al-hakīm (Tafsīr al-Manār)". (1st ed., Cairo: Egyptian General Authority for Books, 1990 AD).
- Mahmoud Al-Baadani, "I'egaz Al Quran e'nd Ibn Ashur". (1st ed., King Saud University, Qur'an chair and its sciences, 1435 AH).
- Al Maraghi, Ahmed bin Mustafa Al Maraghi, "Tafseer Al Maraghi". (1st ed., Cairo: Maktabat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 1365 AH).
- Marwan Shaban, "Aleij'az alqura'ni fi alaktshaf ala'lmi alhdith". (1st ed., Beirut: Dar Elmarefah, 1427 AH).
- Imam Shatby Institute, "Mawsū'at al-tafsīr bel-ma'thūr", (1st ed., Beirut: Dar Ibn Hazm, 1439 AH).
- Muqātil ibn Sulaymān, "Tafseer Muqātil ibn Sulaymān". Investigated by Abdullah Shehata (1st ed., Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth, 1423 AH).
- Al-Midani, Abdulrahman bin Hassan bin Habanaka, "Ma'arj altfkr wdkaa'k altdbr". (1st ed., Damascus: Dar Al Qalam, 1423 AH).
- Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah, "Mu'jam ul-Buldān". (Ed 2, Beirut: Dar Sader, 1995 AD).
- Youssef Al Hajj, "Mawsū'at Aleij'az Ala'lmi fe AlQuaran w Alsunnah". (2nd ed., Damascus: Ibn Hajar Library, 1424 AH).

The contents of this issue

No.	Researches	The page
	Reflections on the early authors	
1)	on Qur'anic readings science and its related sciences Dr. Fahd bin Mutie Al-Mughdhawi	9
	The Mix-up Betwīn the Use and Obmission of the	
2)	Conjunction Letter (al-wāw) in the Words of the Quran (Places and Reasons) Dr. Elgaili Ali Ahmed Belal	59
	The Ten Qiraa'aat that Revolve around the Two Words	
3)	"Qaala" (He Said) and "Qul" (Say) (Compilation and Study) Dr. Yaasir bin Awad bin Rajaa Al-Awfi	121
	Commentaries of Al- Dānī on Ibn Al- Anbārī (died 328	
4)	AH) through his Book (Al- Muktafā Fī al-Waqf Wa Al- Ibtidā (stopping and starting of Qur'an recitation) Collecting and Studying Dr. Sami bin Yahya bin Hadi Awaji	145
	The Worship of listening to the Noble Qur'an	
5)	Dr. Rasha bint Saleh bin Nasser Al-Dogethr	189
	Fractions and Numbers in Quranic Readings	
6)	Dr. Khaleel bin Ahmad bin Ahmad Al-Mardaahi	239
	Al-Jam' Al-Baseet li Asraar Fan Al-Itifaat min Al-	
7)	Bahr Al-Muheet (Study and Analysis) Dr. Braik bin Saeed Al-Qarni	281
	Empirical Scientific Exegesis and Its Impact on Ibn	
8)	'Aashour's Opinions - An Applied Study Dr. Muhsin bin Hamed Al-Mutairi	345
	Az-Zamzami's Poem on the Sciences of the Qur'an	
9)	Presentation and Study Dr. Dhaifallah Mohammed Dhaifallah AlShamrani	395
	The Term (Alphanqlah) Used in Quranic	
10)	Interpretations - in the book (Al-Tashīl li 'Ulūm al- Tanzīl) by Ibn Jizzī al-Gharāfi -An analytical study Dr. Muhammed bin Mardi Al-Hazīl Al-Sharārī	433
	Al-'Uslūb al-Ḥakēm (the wise method) in the Noble	
11)	Qur'an through Quranic interpretation books Dr. Sultan bin Budair Al-Otaibi	473
	The Biography of 'Abād bin Mansūr	
12)	(An Analytical Study) Prof. Juma'an bin Ahmad Al-Zahrānī	521

13)	The Status of Imam Muslim in ‘Elal Science. A Practical Comparative Study Through Al-Tamyīz Book Dr. Hussam Khalid Muhammad al-Saqqar & Prof. Muhammad Zuhair Abdallah Al-Muhammad	595
14)	A Study and Investigation of the Book titled: al-Ḍabt wa al-Tabyīn li dhawī al-‘Ilal wa al-‘Āhāt min al- Muhadithīn, Authored by Yusuf ibn Hasan ibn Ahmad, better known as Ibn al-Mibrad (d. 909 AH) Dr. jamal farhat Saouli	647
15)	Precautionary Applications to Prevent Epidemics in the Prophetic Sunnah Dr. Zakriyyat bint Ahmad bin Muhammad Galafaan Zakri	695

Publication Rules at the Journal (*)

- The research should be new and must not have been published before.
- It should be characterized by originality, novelty, innovation, and addition to knowledge.
- It should not be excerpted from a previous published works of the researcher.
- It should comply with the standard academic research rules and its methodology.
- The paper must not exceed (12,000) words and must not exceed (70) pages.
- The researcher is obliged to review his research and make sure it is free from linguistic and typographical errors.
- In case the research publication is approved, the journal shall assume all copyrights, and it may re-publish it in paper or electronic form, and it has the right to include it in local and international databases – with or without a fee – without the researcher's permission.
- The researcher does not have the right to republish his research that has been accepted for publication in the journal – in any of the publishing platforms – except with written permission from the editor-in-chief of the journal.
- The journal's approved reference style is “Chicago”.
- The research should be in one file, and it should include:
 - A title page that includes the researcher's data in Arabic and English.
 - An abstract in Arabic and English.
 - An Introduction which must include literature review and the scientific addition in the research.
 - Body of the research.
 - A conclusion that includes the research findings and recommendations.
 - Bibliography in Arabic.
 - Romanization of the Arabic bibliography in Latin alphabet on a separate list.
 - Necessary appendices (if any).
- The researcher should send the following attachments to the journal:
 - The research in WORD and PDF format, the undertaking form, a brief CV, and a request letter for publication addressed to the Editor-in-chief

(*) These general rules are explained in detail on the journal's website:

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

The Editorial Board

Prof. Dr. Omar bin Ibrahim Saif
(Editor-in-Chief)

Professor of Hadith Sciences at Islamic
University

**Prof. Dr. Abdul ‘Azeez bin
Julaidan Az-Zufairi**
(Managing Editor)

Professor of Aqidah at Islamic University

Prof. Dr. Baasim bin Harndi As-Seyyid
Professor of Qiraa‘at at Islamic
University

**Prof. Dr. ‘Abdul ‘Azeez bin Saalih Al-
‘Ubayd**

Professor of Tafseer and Sciences of
Qur‘aan at Islamic University

Prof. Dr. ‘Awaad bin Husain Al-Khalaf
Professor of Hadith at Shatjah University in
United Arab Emirates

**Prof. Dr. Ahmad bin Muhammad Ar-
Rufā‘i**

Professor of Jurisprudence at Islamic
University

Prof. Dr. Ahmad bin Baakir Al-Baakiri
Professor of Principles of Jurisprudence
at Islamic University Formally

Prof. Dr. ‘Umar bin Muslih Al-Husaini
Professor of Fiqh-us-Sunnah at
Islamic University

Editorial Secretary: **Basil bin Aayef
Al-Khaalidi**

Publishing Department: **Omar bin Hasan
al-Abdali**

The Consulting Board

Prof. Dr. Sa’d bin Turki Al-Khathlan

A former member of the high scholars
**His Highness Prince Dr. Sa’oud bin
Salman bin Muhammad A’la Sa’oud**

Associate Professor of Aqidah at King
Sa’oud University

**His Excellency Prof. Dr. Yusuff
bin Muhammad bin Sa’eed**

Member of the high scholars
& Vice minister of Islamic affairs

Prof. Dr. A’yaad bin Naamni As-Salami
The editor-in- chief of Islamic Research’s Journal

**Prof. Dr. Abdul Hadi bin Abdullah
Hamitu**

A Professor of higher education in Morocco

**Prof. Dr. Musa’id bin Suleiman At-
Tayyarr**

Professor of Quranic Interpretation at King Saud’s
University

**Prof. Dr. Ghanim Qadouri Al-
Hamad**

Professor at the college of education at
Tikrit University

Prof. Dr. Mubarak bin Yusuf Al-Hajiri
former Chancellor of the college of sharia
at Kuwait University

Prof. Dr. Zain Al-A’bideen bilaa Furaaj
A Professor of higher education at
University of Hassan II

Prof. Dr. Falih Muhammad As-Shageer
A Professor of Hadith at Imam bin
Saud Islamic University

**Prof. Dr. Hamad bin Abdil Muhsin At-
Tuwaajiri**

A Professor of Aqeedah at Imam
Muhammad bin Saud Islamic University

Paper version

Filed at the King Fahd National Library No.
8736/1439 and the date of 17/09/1439 AH
International serial number of periodicals (ISSN)
1658- 7898

Online version

Filed at the King Fahd National Library No.
8738/1439 and the date of 17/09/1439 AH
International Serial Number of Periodicals (ISSN)
1658-7901

the journal's website

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

The papers are sent with the name of the Editor -
in – Chief of the Journal to this E-mail address
Es.journalils@iu.edu.sa

(The views expressed in the published papers reflect
the views of the researchers only, and do not
necessarily reflect the opinion of the journal)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Islamic University Journal

of Islamic Legal Sciences

Issue: 196

Volume: 1

Year:54

March 2021